جامعة آل البيت

Al al-Bayt University

النَّص القصصي في القرآن الكريم: قراءة في الخطاب السردي وجمالية التشكيل الفني "جزء عمَّ أنموذجًا"

The Qur'anic Narrative verses: A perspective on the Narrative Discourse "Juz' Amma as a Model"

إعداد

حسام محمد البطوش

Hosam Mohammad al-Btoosh

الرقم الجامعي

١٦٧٠٣٠١٠٠١

إشراف

د. منتهى طه الحراحشة

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص اللغة العربية وآدابها- الأدب والنقد في كلية الآداب والعلوم الإنسانية- قسم اللغة العربية وآدابها

عمادة الدراسات العليا

جامعة آل البيت

الفصل الأول ٢٠١٨- ٢٠١٩م

نموذج تفويض

أنا حسام محمد البطوش افوض جامعة آل البيت بتزويد نُسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع: .....

التاريخ:.....

نموذج اقرار

انا حسام محمد البطوش **الرقم الجامعي: ١٦٧٠٣٠١٠٠١**

تخصص: اللغة العربية وآدابها **كلية: الآداب والعلوم الإنسانية**

أُعلنُ بأني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وانظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

"النَّص القصصي في القرآن الكريم: قراءة في الخطاب السردي وجمالية التشكيل الفني "جزء عمَّ أنموذجًا"

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أُعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة اعلامية، وتأسيساً على ما تقدم فأنني اتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرّج مني بعد صدورها دون أن يكون لي الحق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

Committee Decision قرار اللجنة

نوقشت هذه الرسالة (أو الأطروحة في حال الدكتوراه) "النص القصصي في القرآن الكريم: قراءة في الخطاب السردي وجمالية التشكيل الفني(جزء عمّ أنموذجاً)" وأجيزت بتاريخ 24 كانون اول 2018م

لجنة المناقشة	التوقيع
د. منتهى طه الحراحشة. (مشرف رئيسي) أستاذ الأدب و النقد العربي الحديث و المعاصر قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة آل البيت	.....
د.مها عبدالقادر المبيضين (عضو لجنة) أستاذ الأدب و النقد العربي القديم قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة آل البيت	.....
د.ابراهيم محمد ابوعلوش (عضو لجنة) أستاذ البيان القرآني قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة آل البيت	.....
د. صبحة احمد علقم (عضو لجنة خارجي) أستاذ الأدب و النقد العربي الحديث قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة الزيتونة الاردنية	.....

الإهداء

إلى اللذين ربياني صغيرا، ورعياني يافعا، وتعهداني بالعناية سالكا سبل العلم

إلى الأيادي التي تحتفظ وجنتاي بعطرها، والنخلتين الباسقتين في وجداني والأيقونتين الراسختين في ذاكرتي

إلى والديّ العزيزين اللذين لولا الله ثم هما لما بلغت ما بلغت

قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ **[الإسراء: ٢٤]**

وإلى شقيقة روحي ورفيقة دربي زوجتي وقرة عيني ومساندتي في الشدة والرخاء

وإلى ابنتي، وروح أخي، وإخوتي.

الشكر والتقدير

قال صلى الله عليه وسلم: (لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ).

أستاذتي الدكتورة منتهى الحراحشة – حفظها الله – أتقدم إليك بجزيل الشكر وعظيم الامتنان، لتفضلك بإعطائي فكرة هذه الدراسة وإشرافك عليها، فقد منحتني من وقتك الكثير، وعلمك الغزير ما كان له أكبر الأثر في توجيه هذه الدراسة وإخراجها بهذه الصورة، فأسأل الله تعالى أن يجزيك عنّي خير الجزاء، وأن يبارك في علمك وعملك وعمرك وأهلك، وأن يكتب لك السعادة في الدارين.

أساتذتي الأجلاء: إبراهيم أبو علوش، ومها مبيضين، وصبحة علقم، أعضاء لجنة المناقشة، أتقدم إليكم بشكري البالغ وامتناني العظيم لتفضلكم بقبول مناقشة دراستي، وتحملكم عناء قراءتها وتقويمها، فأسأل الله أن يجزيكم خير الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين...

فهرس المحتويات

الإهداء ..... هـ

الشكر والتقدير ..... و

فهرس المحتويات ..... ز

الملخص باللغة العربية ..... ح

المقدمة ١

التمهيد ٣

الفصل الأول: موضوعات سور جزء عمَّ ودلالاتها ٦

المبحث الأول: جزء (عمَّ) موضعه من القرآن الكريم، وخصائصه العامة ٦

المبحث الثاني: حقيقة الواقع ودلالة الإعجاز في سور جزء عمَّ ١١

المبحث الثالث: أنواع القصص القرآني في سور جزء عمَّ ١٥

الفصل الثاني: تجليات الخطاب السردي في قصص سور جزء عمَّ ٢٠

المبحث الأول: مفهوم الخطاب ٢٠

المبحث الثاني: أنواع الخطاب القصصي في سور جزء عمَّ وأساليبه ٢٤

المبحث الثالث: استراتيجيات الخطاب القصصي في سور جزء عمَّ ووظائفه ٣٤

الفصل الثالث: التشكيل الفني وجمالياته في سور جزء عمَّ ٤١

المبحث الأول: الحدث وتشكيله ٤١

المبحث الثاني: الشخصية ورسمها ٤٦

المبحث الثالث: التشكيل المكاني ٥٣

المبحث الرابع: تقنيات السرد ٥٩

المبحث الخامس: جماليات التشكيل اللغوي ٦٧

الخاتمة ٧٢

قائمة المراجع ٧٣

Abstract ٨٠

النَّص القصصي في القرآن الكريم: قراءة في الخطاب السردي وجمالية التشكيل الفني "جزء عمَّ أنموذجًا"

رسالة ماجستير قُدمت من قبل:

حسام محمد البطوش

المشرف:

د. منتهى طه الحراحشة

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت، ٢٠١٨م

الملخص باللغة العربية

وقفت هذه الدراسة على النص القصصي في جزء عمَّ، ورصدت الاستراتيجيات الخطابية المستخدمة في كل قصة، وأثرها في المخاطَب، ووظّفت معاجم اللغة وكتب التفسير، والنظريات النقدية الحديثة المتعلقة بالبناء السردي من حدث وشخصيات ومكان وزمان وأساليب سرد وتشكيل لغوي، لسبر ماهية الخطاب ونوعية القص؛ للحصول على المراد الحسي، والمعنوي للقصص بعمومها داخل النص وخارجه، بغية الوصول إلى دلالتها والرؤية الجمالية فيها.

كما سعت الدراسة إلى استنباط الاستراتيجيات التي ارتكز عليها كل خطاب قصصي مصحوباً بالوظيفة الخطابية ومدى اتساقها وانسجامها مع السياق العام للنص القرآني، مثل: الإقناع، والحجاج، والتوجيه، والنزوع، والحوار، والإخبار، دون إغفال جماليات النص ودوره في عملية الربط بين أطراف الخطاب.

فالإعجاز القصصي القرآني لا يقتصر على البيان والتشريع؛ بل يتعداهما إلى إبراز الحالة النفسية والحسية والاجتماعية في سرد القصة وخطابها؛ لتعليم الناس وتوجيههم والتأثير فيهم عبر قص قصص تنطبق على حالهم في السياق والشخوص والأحداث.

المقدمة

نهض النص القصصي في القرآن الكريم على نوع خاص من السرد والخطاب، وجماليات الشكل والمضمون، فقد تحلى بملامح خطابية ذات قوة خاصة ميزته عن باقي أنواع الخطاب، وحمل أبعادا جمالية نأت به عن المشابهة لنصوص القصص البشري، فهو يحمل دلالات خاصة ومضامين مختلفة.

ونجد هذه الملامح في سور جزء عمَّ محور الدراسة التي تسعى إلى استنباط النص القصصي في جزء عمَّ، ورصد الاستراتيجيات الخطابية المستخدمة في كل قصة، وأثرها في المخاطَب إليه، وتوظيف المعاجم والتفاسير، والنظريات النقدية الحديثة المتعلقة بالبناء السردي من مكان وزمان وحدث وشخصيات، لسبر ماهية الخطاب ونوعية القص؛ للحصول على المراد الحسي، والمعنوي للقصص بعمومها داخل النص وخارجه، لذا سعت هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما مفهوم القصة والقصص القرآني، والخطاب السردي وجمالية التشكيل الفني فيه؟ وما خصائص القص وعناصره الفنية في النص القرآني؟ ما التشكيل الموضوعي لسور جزء عمّ؟ هل في جزء عمَّ قصص؟ وما أنواع القصص القرآني في سور جزء عمّ ؟ كيف تشكل الخطاب السردي في النص القصصي القرآني؟ ما الأبعاد الجمالية والفنية في تشكيل النص القصصي في جزء عمّ؟

ومن دوافع هذه الدراسة السعي إلى تطبيق النظريات النقدية الحديثة والافادة منها في دراسة القصة القرآنية وإنارة جانب غفل عنه الباحثون وهو (جزء عمَّ) حين عدَّ أغلبهم أن القصص المذكورة فيه مكررة، أو سبق ذكرها وتفصيلها في سور سابقة، أو أنها ذُكرت فقط من أجل التذكير بها، دون التطرق إلى أعماقها البنائية وآثارها الدلالية وجماليتها التشكيلية في بنائها السردي.

وقد فرضت طبيعة الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لاستقراء النصوص القرآنية في سور جزء عمَّ لاستخلاص عناصر الخطاب السردي منها، وبيان بلاغة هذه العناصر وأبعادها الجمالية.

وقد فرضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى مقدمة، وتمهيد: تناول فيه الباحث مفهوم القصة والقص والقصص، لغة واصطلاحاً وأهمية القصص القرآني في الرسالة الإسلامية والدعوة إلى الله تعالى، وثلاثة فصول، وخاتمة تتضمن ما توصل إليه من نتائج، متبوعة بالمصادر والمراجع.

وجاء الفصل الأول بعنوان: موضوعات سور جزء عمَّ ودلالاتها، وتفرع هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، الأول: جزء (عمَّ) موضعه من القرآن الكريم وخصائصه العامة، والثاني: حقيقة الواقع ودلالة الإعجاز في سور جزء (عمَّ)، والثالث: أنواع القصص القرآني في سور جزء (عمَّ).

أما الفصل الثاني: تجليات الخطاب السردي في قصص سور جزء (عمَّ)، وتفرع إلى ثلاثة مباحث، الأول: مفهوم الخطاب، والمبحث الثاني: أنواع الخطاب القصصي في سور جزء (عمّ) وأساليبه، والمبحث الثالث: استراتيجيات الخطاب القصصي في سور جزء (عمَّ) ووظائفه.

أما الثالث فجاء بعنوان: التشكيل الفني وجمالياته في سور جزء عمَّ، وتشكل من أربعة مباحث، الأول: الحدث وتشكيله، والمبحث الثاني: الشخصية ورسمها، والمبحث الثالث: التشكيل المكاني، والمبحث الرابع: تقنيات السرد، والمبحث الخامس: جماليات التشكيل اللغوي.

وكل دراسة جديدة وجادة لا بد من عقبات تقف في طريقها، ومن أبرز تلك العقبات عندما تشكَّل الموضوع في صورته الذهنية النهائية هي الالتفات إلى شيء جديد لم يقف عليه أي من الباحثين السابقين على حد علمي- في جزء (عمَّ) علماً أن القرآن الكريم كله له قدسية، فلا يقال فيه بالرأي المجرد دون دليل، فقد وقف الباحث عند بعض المبهمات التي لم تدرس من قبل، مجتهداً في مواضع كثيرة، ومختلفًا أحيانًا مع علماء أجلاء، ومدعماً رأيه بآراء مَن سبقوه.

أما الدراسات السابقة تعذر وجودها وتعد هذه الدراسة الأولى في تناول النص القصصي في سور جزء عمَّ، بينما هنالك دراسات موازية كانت قريبة من موضوع (النص القصصي في القرآن الكريم: قراءة في الخطاب السردي وجمالية التشكيل الفني جزء عمَّ أنموذجًا)، ولم تكن جمة عكس نظيراتها التي تناولت مواضيع مختلفة من القرآن الكريم، لا على سبيل الحصر نجد منها:

باحويرث، تهاني، أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة ، مصر ٢٠٠٧.

خضر، محمد مشرف، بلاغة السرد القصصي في القصص القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة طنطا، مصر، ٢٠٠١.

الدقور، سليمان، اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٥.

سالم، محمود، قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم اللغة النصي، رسالة ماجستير، جامعة بني سويف ، مصر ٢٠٠٨.

الشتيوي، فهد بن شتيوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠٥.

أبو لحية ، مجدي، النظم القرآني في سورة هود، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٩.

دحماني، نور الدين، بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني مقاربة تحليلية في جماليات الأداء والإيحاء، رسالة دكتوراه، جامعة وهران-الجزائر،٢٠١١.

التمهيد:

إن الاشتقاق اللغوي لمفردة (القصة) من مادة (قَصّ، قَ صَ صَ) يدل على أنها كشف عن كل ما هو قديم وغابر، وتنقيب عن الأحداث التي مضت ونسيها الناس، أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد من ذكرها هو إعادة عرض العبرة والعظة فيها من جديد، للتذكير بها، ولفت الأنظار إليها، وهذا المعنى تكرر وروده في معاجم العربية [١] بعدة صور متقاربة ومنها:

١- المتابعة، تتبع الأثر: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ ﴾ [القصص، ١١] ، أي اتبعي أمره وتتبعي أثره.

٢- البيان والإعلام: ومنه قوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ [يوسف، ٣] أي: نُبيِّنُ لك أحسن البيان.

٣- الأمر والحديث والخبر المتتبع: ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [آل عمران، ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ ﴾ [القصص، ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف، ١٧٦]، وقوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف، ٧]، وقد اقتصصت الحديث رويته على وجهه [٢].

٤- الحفظ: تقصصت الكلام حفظته [٣].

ومن خلال التتبع المعجمي يستنتج الباحث أن مصطلحات القص، والقصص، والقصة، غير مترادفة أبداً، ولكل منها وظيفته ودلالته الخاصة واستعماله المحدد، ولعل ابن سيده يفصّل ذلك، فيقول: "القص: فعل القاص إذا قص القصص، [وفي الاستعمال] هو فن مخاطبة العامة ووعظهم بالاعتماد على القصة، والقصة: الخبر، وهو المقصوص، وقصّ عليّ خبره يقصه قصاً وقصصاً: أورده" [٤].

وفي هذا السياق، لا بد من ذكر الفرق بين القَصص -بالفتح- وبين القِصص -بالكسر- "فالقِصص -بكسر القاف- هي جمع قصة. تقول: فلان يكتب القِصص ويرويها. أما القَصص -بفتح القاف- فهو الأخبار والروايات التي يتتبعها القاص ويرويها. كما أنه يَرِد بمعنى المصدر، تقول: قَصَّ قَصّاً وقصصاً.

---

(١) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط٣، (١٤١٤هـ)، دار صادر بيروت، ج٧، ص٧٤. وانظر: الزَّبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، د.ط، ١٩٨٠م، ، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ج١٨، ص٩٨ وص١٠٨. وانظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، (١٤٠٦ هـ)، ط٢ ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ج١، ص٧٢٨. وانظر: الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د.ت، د.ط، المكتبة العلمية – بيروت، ج٢، ص٥٠٥.

(٢) الرازي، زين الدين أبو عبد الله، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (١٤٢٠هـ)، المكتبة العصرية – دار النموذجية، بيروت- صيدا، ص٤٥٤، مادة قَ صَ صَ.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص٧٥

(٤) ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، (١٤٢١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ج٦، ص١٠١.

وحين يتم توظيف مثل هذه المصطلحات في دراسة القصص القرآني يتبنى الباحث رأي الدكتور عبد الكريم الخطيب ويرجحُهُ حين رأى بأن: "لفظ القصص أو القصّ أنسب لفظ يطلق على تلك الأنباء التي عرضها القرآن، إذ أن ذلك أشبه بقصّ أثر الشيء وتتبعه ثم الوقوف عليه بذاته لا على صورته أو ما يشبه صورته" [1]، فالخطاب القصصي القرآني خطاب حق وصدق يخلو من الخيال ومشتقاته، وجميع المصطلحات السالف ذكرها ترتبط ببعضها ارتباطاً عضوياً وظائفياً كما فصلها ابن سيده.

أما القص في القرآن الكريم هو قص من نوع خاص، فهو ليس فناً خالصاً يقدّم لغاية جمالية، تهدف الامتاع؛ بل هي قصص صاغها الله عز وجل لتكون مثالاً للناس، وبهذا تكون الموعظة جانبًا مهمًا من جوانب القص القرآني [2]، كما أنه؛ أي القص "إخبار عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة" [3]، وبذلك تكون القصة في القرآن تتبع أحداثاً ماضية وتعرض منها ما يفيد عرضه في مجال الدعوة إلى التوحيد الخالص والخلق الفاضل، ومن هنا كانت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن قصصاً مما يدخل في المعنى العام لكلمة خبر أو نبأ"قال تعالى: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الكهف، آية: ٣]، وهذا الحق ليس خيالاً فنياً، أو وضعاً إنسانياً، يهدف إلى المتعة أو للتشويق أو للتطهير بفعل التأثير كما كان يحدث في المسرح قديماً؛ بل هو حقيقي الخبر والمنشأ والحدث والشخوص والأمكنة، حقيقي بكل ما فيه؛ فالقصة في استعمالات العرب وفي مفهوم القرآن الكريم تختلف عن القصة بالمعنى الأدبي الحديث، وتلك حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر، "وإذا كان الأدباء اليوم ينتزعون من الخيال أقوالا ويقولون أنها قصة فذلك أمر لا يعرفه العرب، ولا يجري على ألسنتهم، وصح لنا أن نطلق عليها أساطير ما دامت لم تقع" [4]، قال تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الإسراء، ١٠٥].

ويهدف القصص القرآني -بشكل عام- إلى تربية الإنسان تربية تضمن له خير المسالك ليتبوَّأ أفضل المدن والممالك، وتحول بينه وبين المنزلقات والمهالك[5]،

وإذا أردنا أن نفصل أهمية القصص القرآني فإنها تبرز في الآتي[6]:

١- تعميق العقيدة في النفوس، ونفي الخرافات والأفكار القديمة.

٢- إثبات الوحي والرسالة؛ فأمية النبي صلى الله عليه وسلم- وعدم جلوسه إلى أحبار اليهود، وعلماء النصارى، دليلٌ على أن القصص الواردة في القرآن الكريم وحيّ يوحى، قال تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف، ٣].

---

[1] الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ط٢، ١٩٧٥م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ص٥٢

[2] انظر: الخيري، أروى محمد ربيع، وربيع، محمود، السرد في القص القرآني: قصة أهل الكهف أنموذجًا، مجلة مقاليد- جامعة قاصدي مرباح- ورقلة، ع٩، ٢٠١٥م، الجزائر، ص ٢٤٠

[3] حجازي، محمد محمود، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ط١، ١٩٧٠م، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص٣٠٦

[4] بلبول، عبد الباسط ، القصص القرآني، ط١، ٢٠٠٦م، مكتبة أصول الدين، القاهرة، ص ٣٦

[5] انظر: اعلاوي، نزيه محمد، الشخصيات القرآنية، ط١، ٢٠١٠م، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ص ١٦- ٣٢

[6] انظر: الحوري، غصاب نهار مطر، من ملامح الإعجاز في القص القرآني، مرجع سابق، ص١٩- ٢٣

٣- السمو بالإنسان حتى يمتاز على الحيوان الذي يشترك معه في بعض الصفات، وهذا السمو لا يركز على جانب واحد في هذا الإنسان؛ فهو سمو روحي وخلقي ونفسي يشعر به الفرد... وهو بعد ذلك سمو اجتماعي تجد الجماعة فيها بغيتها وأمنها وضالتها وفضيلتها، والقصص القرآني يسلك أكثر من أسلوب للوصول بالإنسان إلى هذه النتيجة الطيبة.

٤- إثبات أنّ الدين كله من عند الله من أوّل نوح إلى محمد عليهما السلام.

٥- بيان أسباب الهلاك التي يمكن أن تصيب الأمم والجماعات والأفراد، وقد فصّل القرآن الكريم ذلك تفصيلاً عجيباً، وهو يتحدث عن الترف والطغيان، والبطر والظلم، والاستعباد الفكري، والسخرية والرضا بالذل إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة المبثوثة في ثنايا القصص.

٦- إبراز وحدة الرسائل الدعوية، فالوسائل التي يتبعها الأنبياء في الدعوى موحدة، وأيضاً فإن طريقة استقبال الناس للدعوة متشابهة، فضلاً عن أن الدين من عند الله، وأنه قائم على أساس واحد.

٧- التركيز على أن التدين الحق لا ينفصل عن الحياة العملية، ولا ينفصم عن واقع الإنسان، وإنما هو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بل هو جزء منه.

٨- التبشير والتحذير، ويقدّم القصص القرآني تصديقاً للتبشير رحمة من الله، وتحذيراً من عقابه، قال تعالى: ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر، ٤٩- ٥٠]

٩- التنبيه إلى غواية الشيطان، ويتكرر هذا التنبيه لآدم وذريته، وتحذيرهم من غواية الشيطان، وتذكيرهم بالعداوة المستمرة بينهم وبينه، وهو ما يفسّر تكرار قصة آدم في العديد من المواضع.

١٠- في قصص القرآن تقويم للأخلاق، وتزكية للنفوس، وتهذيب للطباع من خلال ما يبثه على مسامع الناس من المواعظ والصبر والمواقف الدالة بمضمونها على نوازع الخير والشر في الإنسان، والتنبيه على سبل الخير، وسبل السلامة من دوافع الشر.

وبعد هذا العرض الذي سعى إلى تحديد مفهوم القص القرآني معجمياً واصطلاحياً، في محاولة تجنب تكرار الأفكار والعبارات والرؤى، وحصر أهمها ومجملها فقط، وبعد تقديم توطئة نظرية تبين أهمية القص القرآني وأهدافه، ستتعرض الدراسة إلى تفصيل النَّص القصصي القرآني وعناصره الفنية وكيفية تخطيه لعناصر القصة التقليدية، وذلك عبر قراءة الخطاب السردي واستراتيجياته وأدواته، سعياً من الباحث لحصر جماليات التشكيل الفني في جزء عمَّ تحديداً.

الفصل الأول: موضوعات سور جزء عمَّ ودلالاتها

المبحث الأول: جزء (عمَّ) موضعه من القرآن الكريم، وخصائصه العامة :

جزء عمّ هو الجزء الثلاثون والأخير من القرآن الكريم وعدد سوره تعدل ثلث عدد سور القرآن الكريم، وتمتاز كلها بالقصر قياساً بباقي سور القرآن الكريم في أجزائه التسعة والعشرين، ويتضح هذا جلياً عند مقارنة سورة من سور جزء عمّ، كسورة (النازعات) مثلاً بسورة (آل عمران)، وجدير بالذكر أن "عدد آياته خمسمائة وأربع وستون آية؛ فإن عدد فواصله يعادل عدد آياته"[1] أيضاً.

تتميز سور الجزء، بتلاحق المعاني ودقتها، بأسلوب رفيع يتلاءم مع دوافع الدعوة في مكة، وكأن سور الجزء فيها دعوة لقومٍ ليصحوا من سباتٍ عميق، يناديهم خالقهم بنداء الفطرة، ويدعوهم بدعاء العقل، ويحاكمهم إلى منطق العدل والإنصاف في المحاججة والمجادلة، وهو لا يفتأ يذكرهم بالقيامة وأهوالها، يقول سيد قطب عن جزء عمَّ: "في الجزء كله تركيز على النشأة الأولى للإنسان والأحياء الأخرى في هذه الأرض من نبات وحيوان. وعلى مشاهد هذا الكون وآياته في كتابه المفتوح. وعلى مشاهد القيامة العنيفة الطامة الصاخة القارعة الغاشية. ومشاهد الحساب والجزاء من نعيم وعذاب في صور تقرع وتذهل وتزلزل كمشاهد القيامة الكونية في ضخامتها وهولها.. واتخاذها جميعاً دلائل على الخلق والتدبير والنشأة الأخرى وموازينها الحاسمة. مع التقريع بها والتخويف والتحذير.. وأحيانا تصاحبها صور من مصارع الغابرين من المكذبين "[2].

وسمي جزء عمَّ بهذا الاسم؛ لأن موضوع الخطاب في سوره يدور حول إثبات عقيدة البعث، التي طالما أنكرها المشركون، ولأنّ أول سورةٍ من سوره سورة النبأ تبدأ بـ(عمَّ)[3]، وقصدها الدلالة على أن يوم القيامة الذي كانوا مجمعين على نفيه، وصاروا بعد بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – في خلاف مع المؤمنين، ثابت ثباتاً لا يحتمل الشك ولا خلاف بوقوعه؛ لأن خالق الخلق قادر على ما يريد، وهذا يعني أن سورة النبأ، تشكل نموذجًا لهذا الجزء بموضوعاته وحقائقه، ومشاهده، وصوره، وظلاله، ولمساته في النفس والدنيا والآخرة، واختيار الألفاظ والعبارات، لتوقع أشد إيقاعاتها في الحس والضمير؛ لأن فيه الخبر العظيم عن القيامة والبعث والنشور والجزاء[4].

وفي هذا الجزء كغيره من أجزاء القرآن الكريم، نجد المدني والمكي، لكن سوره المكونة من سبعة وثلاثين سورة حضر منها ثلاث سور مدنية فقط مقارنة بالسور المكية، وهي: (سورة البينة، وسورة الزلزلة، وسورة النصر)، ومن هذا المنطلق يجب على البحث أن يبين ضوابط السور المكية والمدنية، والمميزات الموضوعية وخصائص أسلوب كل منهما، خصوصاً أن النتائج المتعلقة بالسور المكية يمكن تعميمها على جزء عمَّ بشكل عام.

---

(1) البع، محمد رمضان محمود، دلالات الأصوات في فواصل آيات جزء عمَّ: دراسة تحليلية، مجلة جامعة الأقصى- سلسلة العلوم الإنساني- جامعة الأقصى بغزة، مج ١٣، ع، ٢، ٢٠٠٩م، فلسطين، ص٤

(2) الشاربي، سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، ط١٧، ١٤١٢هـ دار الشروق، بيروت، لبنان، ٦/ ٣٨٠٠

(3) انظر: البقاعي، برهان الدين أبو الحسن بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط١، ١٩٨٤م، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، ص ١٨٩.

(4) انظر: الشاربي، سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص ٣٨٠٢

قد اعتمد العلماء في معرفة المكي والمدني على منهجين أساسيين هما المنهج السماعي النقلي وهو الذي يستند إلى الرواية الصحيحة عن الصحابة الذين عاصروا الوحي وشاهدوا نزوله، والتابعين الذين نقلوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقعه وأحداثه. وثانياً: المنهج القياسي الاجتهادي وهو الذي يستند إلى خصائص المكي وخصائص المدني، فإذا ورد في السور المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني، أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مدنية، وإذا ورد في السور المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي، أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مكية، وإذا وجد في السور خصائص المكي قالوا: إنها مكية، وإذا وجد فيها خصائص المدني قالوا: إنها مدنية، وهذا قياس اجتهادي

والاجتهاد هنا أكثر علمية وموضوعية من السماع النقلي؛ لأنه يحدد خصائص وسمات السور بشكل أدق وأعمق، وهذا ما يُلاحظ في جهود العلماء الذين حاولوا تحديد ضوابط السور المكية والمدنية، والمميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب لكل منهما، فنجد أن ضوابط السور المكية يمكن إجمالها فيما يأتي:

١- كل سورة فيها سجدة فهي مكية؛ مثل سورة (الانشقاق، العلق) في جزء عمَّ.

٢- كل سورة فيها لفظ (كلا) فهي مكية، ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن، وذُكرت ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة، ومثال ذلك من جزء عمَّ سورة: (النبأ، عبس، الانفطار، المطففين، الفجر، العلق، التكاثر، الهمزة).

٣- كل سورة فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وليس فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فهي مكية، إلا سورة الحج ففي أواخرها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ [الحج، ٧٧]، ومع هذا فإن كثيراً من العلماء يرى أن هذه الآية مكية كذلك، ولاحظ الباحث أن الخطاب في سور جزء عمَّ لم يذكر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ بشكل مباشر؛ بل جاء عاماً أكثر ووُجه إلى الإنسان عموماً، ومثال ذلك سور: (الانفطار والانشقاق والفجر و البلد و التين و العلق والزلزلة والعاديات والعصر).

٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية سوى البقرة، وأغلب سور جزء عمَّ فيها ذلك.

٥- كل سورة فيها آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة كذلك، ومثال ذلك من جزء عمَّ سورتا: (التكوير، الناس).

أما ضوابط السور المدنية تختلف عن السور المكية، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

١- كل سورة فيها فريضة أو حد؛ فهي مدنية.

٢- كل سورة فيها ذكر المنافقين؛ فهي مدنية، سوى العنكبوت فإنها مكية.

٣- كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب؛ فهي مدنية[1].

([1]) انظر: المرجع السابق، ص ٦٠

وفيما يخص مميزات السور المكية الموضوعية، وخصائص أسلوبها -عموماً- يمكن إجمالها فيما يأتي:

١- الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء، وذكر القيامة وهولها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية، والآيات الكونية.

٢- وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع، وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلماً، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات.

٣- ذكر قصص الأنبياء، والأمم السابقة زجراً لهم حتى يعتبروا بمصير المكذِّبين قبلهم، وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى الانتصار عليهم.

٤- قصر الفواصل مع قوة الألفاظ، وإيجاز العبارة، بما يصخ الآذان، ويشتد قرعه على المسامع، ويصعق القلوب، ويؤكد المعنى بكثرة القَسَم، كقصار المفصل إلا نادراً[١]، وهذه الخصائص حاضرة في جزء عمَّ عموماً.

بينما مميزات السور المدنية الموضوعية وخصائص أسلوب -عموماً- تختلف عن نظيرتها المكية، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

١- بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.

٢- مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، وتجنيهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيّا بينهم.

٣- الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدين.

٤- طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها [٢].

ولتأكيد الفرق بين المكي والمدني نجد أن هناك ثلاثة آراء اصطلاحية للعلماء في ذلك، كل رأي منها بُني على اعتبار خاص:

١- اعتبار زمن النزول: فالمكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان في غير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان في غير المدينة. فما نزل بعد الهجرة ولو في مكة عُرف بالمدني، كالذي نزل عام الفتح، كقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء، ٥٨]، فإنها نزلت في مكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم، أو ما نزل في حجة الوداع، كقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة، ٣]، وهذا الرأي أولى من الرأيين الآخرين لحصره واطراده.

---

(١) انظر: القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ٥٩

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٦٠

٢- اعتبار مكان النزول: فالمكي ما نزل في مكة وما جاورها كمنى، وعرفات، والحديبية. والمدني ما نزل في المدينة وما جاورها كأحد، وقباء، وسلع...، ويترتب على هذا الرأي أن ما نزل في الأسفار، أو في تبوك، أو في بيت المقدس لا يسمى مكياً ولا مدنياً، كما يترتب عليه أن ما نزل في مكة بعد الهجرة يكون مكياً.

٣- اعتبار المخاطب: فالمكي ما كان خطاباً لأهل مكة، والمدني ما كان خطاباً لأهل المدينة [١].

أما ما يخص دلالات السور وتحديدها، فمن الخطأ تعميمها على مجمل القرآن الكريم، فلكل لفظة دلالة ولكل آية دلالة على حدة؛ وهذا ما يُستمد من التعمق بدراسة المنطوق والمفهوم في القرآن الكريم، والباحث يتبنى الرأي الذي يقول بأن: "دلالة الألفاظ على المعاني قد يكون مأخذها من منطوق الكلام الملفوظ به نصاً أو احتمالاً بتقدير أو غير تقدير، وقد يكون مأخذها من مفهوم الكلام سواء وافق حكمها حكم المنطوق أو خالفه، وهذا ما يسمى: بالمنطوق والمفهوم" [٢].

وفي تفصيل هذه الجزئية، نلاحظ أن المنطوق هو "ما دل عليه اللفظ من محل النطق؛ أي أن دلالته تكون من مادة الحروف التي يُنطق بها، ومنه: النص، والظاهر، والمؤوَّل" [٣].

وهذا يحيل إلى ضرورة تحديد ماهية النص هنا؛ فهو "ما يفيد بنفسه معنى صريحاً لا يحتمل غيره" [٤]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة، ٦]، فإن وصف الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين بأنهم شر البرية، وفي نار جهنم خالدين، قَطَعَ احتمال لما دون ذلك مجازاً، وهذا هو الغرض من النص.

أما الظاهر، فهو "ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً، فهو يشترك مع النص في أن دلالته في محل النطق، ويختلف عنه في أن النص يفيد معنى لا يحتمل غيره، والظاهر يفيد معنى الإطلاق مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً" [٥]، كقوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ [المطففين، ١-٣]، فإن المطففين تُطلق على الباغين، والظالمين، والجاهلين، والجاحدين، والأنانيين؛ لكن إطلاق المطففين على "الذين ينقصون الناس، ويبخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء، وأصل ذلك من الشيء الطفيف، وهو القليل النـزر، والمطفِّف: المقلِّل حقّ صاحب الحقّ عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن؛ ومنه قيل للقوم الذي يكونون سواء في حسبة أو عدد: هم سواء كطَفّ الصاع، يعني بذلك: كقرب الممتلئ منه ناقص عن الملء" [٦]، هذا الإطلاق والتحديد فهو الراجح، وأما غيره فهو المرجوح.

---

(١) انظر: القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ٥١- ٥٤

(٢) القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ٢٤٢

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ٢٤٢

(٦) الطبري، محمد بن جرير، (تفسير الطبري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، ط١، ٢٠٠١م، القاهرة- مصر، ٢٤/ ص ٧٤-٧٥

بينما المؤوَّل، فهو "ما حُمِلَ لفظه على المعنى المرجوح لدليل يمنع من إرادة المعنى الراجح، فهو يخالف الظاهر في أن الظاهر يُحْمَل على المعنى الراجح حيث لا دليل يصرفه إلى المعنى المرجوح، أما المؤوَّل فإنه يُحمَل على المعنى المرجوح لوجود الدليل الصارف عن إرادة المعنى الراجح، وإن كان كل منهما يدل عليه اللفظ في محل النطق" [1]، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة، آية: ٤]، فإن " (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ) من شدة الفزع والهول، (كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوث)؛ أي كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض، والفراش: هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه، فإذا أوقد لها نار تهافتت إليها لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول" [2]؛ لذلك إن المعنى محمول على المؤوَّل لاستحالة حدوث ذلك للإنسان في حياته التي يعيشها، وإنما محصور بحدوث (القارعة).

وسيبين البحث هذه التفاصيل بشكل أدق وأعمق عند مباشرة الجانب التطبيقي التحليلي لسور جزء عمَّ تحديداً، بإذن الله.

---

(1) القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ٢٤٣

(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، ط٢، ٢٠٠٢م، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، ١/ ص٩٣٣

المبحث الثاني: حقيقة الواقع ودلالة الإعجاز في سور جزء عمَّ

قال ابن فارس إن الجذر الثلاثي لكلمة (إعجاز) هو (عجز) والتي انبثقت منها كل مشتقات الكلمة مثل: (إعجاز وأعجاز ومعجزة وعاجز... إلخ)، والعجز هو نقيض القدرة وتعني الضعف، ولذلك يقال: (عَجِزَ يَعجَزُ عَجْزًا فهو عاجز؛ أي ضعيف) [1].

فالإعجاز في اللغة: "مصدر قولنا في كل أمر يُريد الرجل أن يفعله أو يأتيه، فيجهد جُهده كلّه، فلا يستطيع أن يفعله أو يأتيه، ويسقط عندئذٍ في (العَجْز)، وهو عدم القدرة على فعل ما يُريد، تقول: أعجزه هذا الأمر يُعجزه إعجازاً، أي: انقطعت قوته دونه، فوقع في العجز غير مُطيق لفعله، غير قادر على إتيانه، ويُوصف هذا الأمر عندئذٍ بأنه مُعجِز، أي: غير مقدور عليه البتة... فمعنى المُعجزة: هو أنها الآية الكاشفة عن عجز جميع الخلائق، المبطلة لجميع قدراتهم على مثلها، المبينة عن قدرة الله الذي لا يُعجزه شيء في السموات والأرض" [2].

والمعجزة هي: "خرقٌ لنواميس الكون، أو لقوانين البشر، يعطيها الله سبحانه وتعالى لرسله وأنبيائه؛ ليؤكد للناس أنهم رسله" [3]، فالمعجزات أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، وهي: "إما حسية وإما عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم" [4]، والتعجيز ليس مقصودًا لذاته؛ بل لإثبات أن محمدًا صلى الله عليه وسلم مرسل من ربه [5].

وتدرج القرآن الكريم في التحدي، فتحداهم بأن يأتوا بمثله فلم يقدروا، قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ [الطور، ٣٤]، ثم تحداهم بعشر سور منه، ثم تحداهم بسورة واحدة، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [هود، ١٣]، ثم تكرر هذا التحدي في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة، ٢٣]، فلما عجزوا عن معارضته نادى عليهم بإظهار عجزهم وإعجاز القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء، ٨٨].

---

(١) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ٤/ ص٢٣٢

(٢) شاكر، محمود محمد، مداخل إعجاز القرآن، ط١، ٢٠٠٢م، مطبعة المدني- دار المدني، جدة، ص ١٦- ١٧

(٣) علوان، نعمان شعبان، مقدمة في الإعجاز القرآني، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية -شؤون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية، مج ١٨، ع ١، غزة، ص ٤٢٣

(٤) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ٤/ ص ١.

(٥) انظر: الباقلاني، محمد بن طيب بن محمد، إعجاز القرآن الكريم، تحقيق: السيد أحمد صقر، د.ط، ١٩٩٧م، دار المعارف، مصر، ص ١٤٤.

لم يكن الإعجاز القرآني في عصر الصحابة والتابعين قضية تحتاج منهم إلى نظر واستدلال، فقد استيقنتها قلوبهم، وشهدت بها قراءتهم العربية الصافية، وعلموا بالفطرة أن القرآن الكريم لا يدانيه كلام ، وكانوا في الإعجاز على قلب رجل واحد ، فلما مضى عصرهم وجاء القرن الثالث، واختلط العرب بالأعاجم، وفسدت الأذواق عند بعضهم في تذوق ما يحمله الكلام العربي ودلالاته، ظهر مَنْ يختلق الأقاويل والشبهات الفلسفية، واضطر بعض العلماء لعقد مجالس للرد على ما يمس كتاب الله تعالى من زور وتزييف، خصوصاً فيما يتعلق بالجانب الإعجازي.

فمثلاً، عقد الباقلاني فصلاً في وجوه إعجاز القرآن، ونسب إلى أصحابه من المختصين أنهم حصروا وجوه الإعجاز في ثلاثة أوجه، هي:

١- الإعجاز الغيبي.

٢- الإخبار عن أحوال الأمم السابقة، وهو أمي صلى الله عليه وسلم.

٣- بديع النظم والتأليف.

وأشار إلى أن ذلك الوجه الأخير قد تضمن عشرة أوجه، ويُفهم من ذلك ميول (الباقلاني) إلى تعدد الوجوه، وعدم انحصاره في الوجه البلاغي، وأن الوجه البلاغي هو الأهم والأظهر[١]، وذكر ابن عطية قول في كتابه (المحرر الوجيز) عن أهل العلم في تعريف الإعجاز فقال: "إن التحدي وقع بما في كتاب الله تعالى من الأنباء الصادقة، والغيوب المسرودة" [٢]، وهذه الجزئية تحديداً هي الجلية بوضوح في جزء عمَّ، وهي البارزة على معالم جميع السور، فلا تكاد تخلو سورة من الإخبار عن قصص الأقوام الغابرة، أو البائدة، أو قصص الأنبياء، أو الحديث عن الغيبيات ويوم القيامة وأهواله، بل إن يوم القيامة هو المحور الرئيس لجميع سور هذا الجزء، وهو النبأ الأعظم الذي اختلف فيه المشككون، وتساءلوا عنه فيما بينهم، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾ [النبأ، ١- ٣].

ففي سورة النبأ، حضر الواقع وذلك بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار عن اليوم الآخر والبعث والجزاء، وحضر الواقع عبر موقف الناس منه، فمنهم مَن آمن وصدّق، ومنهم مَن كذب وكفر، ومنهم مَن شكّ وتردد.

بعد ذلك ساق الله تعالى لهؤلاء مظاهر إعجازية تعكس مدى قوته وقدرته في خلق الكون، وتنظيمه، وتنسيقه بما يتناسب في إيجاد واقع ملائم لحياتهم التي يعيشونها، مثل تبدل الليل والنهار، ومثل أهمية حضور الشمس ودورها الفاعل في الحياة، ومثل انزال الماء من السحاب الذي تنمو بفضله النبات المكونة للبساتين الضامة أصناف النعم بشتى صورها.

---

(١) انظر: الباقلاني، محمد بن طيب بن محمد، إعجاز القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٣٣- ٣٥

(٢) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٤٢٢ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١/ ٥٢- ٥٣

وانتقل الخطاب الإلهي بعد تذكيره بما أنعم به على العباد في الدنيا إلى ذكر حال اليوم الآخر، وأنه ميقات يجمع الله فيه الأولين والآخرين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۝٢٩ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ، ١٧- ٣٠]، فالله تعالى خالق هذا الكون بكل ما فيه من تناسق وتنظيم [١]، هل يعجز عن إيجاد يوم القيامة؟ طبعاً لا -معاذ الله- ولكن هذا التساؤل أو ما شابهه هو أول ما سيتبادر إلى ذهن المتلقي لخطابه المعجز جل جلاله. وانتقال الخطاب من حالة الوجود الواقعي إلى الأمور الغيبية تُحتّم ضرورة تصديقها والإيمان بها، خصوصاً أنها مفصلة بدقة [٢]، وارتبطت بالواقع المادي الذي خلقه الله تعالى وبينه في خطابه من قبل، وهذا ما قصد به البحث (دلالة الإعجاز)، وهو ما قصد به بعض المفسرين (الإعجاز الغيبي)؛ ولكن وجه الاختلاف يكمن في أنهم درسوا الإعجاز الغيبي من منظور منفصل عن تدرجه وتلازمه بالواقع المادي الملموس داخل آيات السورة الواحدة، وبعضهم مَن فصل آيات الإعجاز وفسرها لوحدها، أما ما تقوم به الدراسة في هذا المبحث، لم يجده الباحث في أي دراسة سابقة اطلع عليها.

وتكرر ذلك في سورة (النازعات)، التي بدأت من لحظة انتزاع الأرواح، فقال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ [النازعات، ١] يعني الملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار، وتنتزعها بشدة [٣]، ثم أتت صورة مغايرة لانتزاع أرواح المؤمنين بقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ [النازعات، ٢] يعني الملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين، أي تسلها برفق وسرعة وسهولة [٤]، واستهلال الخطاب القرآني بدأ من هذه اللحظة المتأزمة، لحظة (الموت) تمهيداً للحظات أصعب متعلقة بيوم القيامة، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات، ٦- ٧]، وهما النفختان في الصور، النفخة الأولى ترجف الناس ويفزعون ثم يموتون عن آخرهم إلا ما شاء الله، والنفخة الثانية يبعثون من قبورهم فيقوم الناس من قبورهم مرة واحدة [٥]، وإذا حدث ذلك انقسم الناس إلى قسمين: قسم يضم الكفار أصحاب القلوب (الواجفة) الخائفة خوفاً شديداً، و ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ [النازعات، ٩]

---

(١) انظر مثلاً: سورة الأعلى.

(٢) انظر مثلاً: سورة التكوير، وسورة الانفطار، وسورة الانشقاق، وسورة البروج، سورة الغاشية، سورة الزلزلة، سورة العاديات، سورة القارعة؛ فجميع هذه السور ورد فيها تفاصيل وأهوال يوم القيامة.

(٣) انظر: العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم: جزء عم، ط٣، ٢٠٠٣م، دار الثريا للنشر، الرياض-السعودية، ص ٣٩

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٣٩

(٥) انظر: المرجع السابق، ص ٤٢

يعني ذليلة لا تكاد تحدق أو تنظر بقوة، أما القسم الثاني يضم المؤمنين الذين تكون حال قلوبهم عكس حال الكفار، ودل على ذلك قوله تعالى بصيغة النكرة: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ﴾ [النازعات، ٨] فيكون المعنى: وقلوب على عكس ذلك [١]، ويرى الباحث أن بداية السورة بحقيقة واقعية يعلمها الإنسان جيداً وهي (الموت)، مهد بشكل مهم للحديث عن دلالة الإعجاز المنبثق من الواقع في تفصيل الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله وهي تفاصيل دقيقة تخص هذه اللحظة (الموت) تحديداً، وتفاصيل البعث من القبور يوم القيامة.

فالقرآن الكريم تتعدد أوجه الإعجاز بتعدد جوانب النظر فيه، "فكل آية من آياته فيها: إعجاز لفظي، وبياني، ودلالي، وكل مجموعة من الآيات، وكل سورة من السور طالت أم قصرت، بما فيها من قواعد عقدية، أم أوامر تعبدية، أم قيم أخلاقية، أم ضوابط سلوكية، أم إشارات علمية؛ فإنها تشير إلى شيء من أشياء هذا الكون الفسيح، وما فيه من ظواهر وكائنات، وكل تشريع، وكل قصة، وكل واقعة تاريخية، وكل وسيلة تربوية، وكل نبوءة مستقبلية؛ كل ذلك يفيض بجلال الربوبية، ويتميز عن كل صياغة إنسانية، ويشهد للقرآن بالتفرد، كما يشهد بعجز الإنسان عن أن يأتي بشيء من مثله" [٢]، وقد رأى ابن تيمية أن المعجزة هي البينة وهي الآية والبرهان وهي الآيات الدالة على صدق النبوة، وعن موقفه من وجوه الإعجاز قال ابن تيمية: "وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له" [٣]، فابن تيمية جعل كثرة الاختلاف في وجوه الإعجاز حجة إعجاز القرآن وعجائبه، وهذا الرأي من أفضل الآراء -من وجهة نظر الباحث- وأجددها في فهم ظاهرة الإعجاز القرآني ودلالاته.

---

(١) العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم: جزء عمَّ، مرجع سابق، ص ٤٢

(٢) الدهشان، عبد الكريم حمدي، وجوه الإعجاز بين العلماء القدماء والمعاصرين: عرض وتحليل، أعمال المؤتمر العلمي الثاني: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، ٢٠١٦م، الجامعة الإسلامية، غزة، ص ٤٤٨

(٣) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر - عبد العزيز بن إبراهيم العسكر - حمدان بن محمد الحمدان، ط٢، ١٩٩٩م، دار العاصمة، السعودية، ٥/ ص ٤٢٩

المبحث الثالث: أنواع القصص القرآني في سور جزء عمَّ

ورد القصص القرآني في آيات عديدة من سور القرآن الكريم، وأخذ مساحات عريضة، وكان أهم موضوعاته وآلياته الخطابية؛ وهذا قد اجتذب الدارسين والباحثين من متدبرين ومحللين ومفسرين وحتى المؤرخين؛ فلا نجد مفسراً لا يقف طويلاً عند سرد القصص المنتشرة في ثنايا الآيات والسور أثناء تفسيرها، ولا نجد متذوقاً لا يتعمق في دلالات القصص وآثارها المعنوية والمادية والتوجيهية، ولا نجد مؤرخاً غير معني بما ورد في القرآن الكريم من أخبار الأمم السابقة، أو من قصص الأنبياء والمبعوثين.

إن عموم القصص القرآني جاء وفق إسناد مختلف في صفة الراوي لهذه القصص، والدكتور صلاح الخالدي فصّل هذه القضية في كتابه: (القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث)، فرأى أن القرآن الكريم [1]:

١- أُسند القَصص إلى الله تعالى في القرآن أحياناً، فالله بذاته العليا سبحانه، يقوم بالقص على رسوله صلى الله عليه وسلم قصص السابقين، وذلك عن طريق تتبع أحداثهم وروايتها، وقَصها على الرسول عليه الصلاة والسلام، في آيات القرآن، قال تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء، ١٦٤].

٢- وأُسند القَصص إلى الرسل أحياناً؛ لأنهم هم الذين يقصون آيات الله على الناس، قال تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾ [الأنعام، ١٣٠]

٣- وأُسند القصص إلى القرآن نفسه، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل، ٧٦]

٤- وأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقصَّ القصص الذي أخبره الله به، لعل الناس يتفكرون ويتعظون، وجاء الأمر بهذا في التعقيب على قصة الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها، كما أوردتها آيات سورة الأعراف، قال تعالى: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف، ١٧٦].

وهذا التنوع في صفة الإسناد، أو السرد، أو القيام بفعل القص، يعطي انطباعاً عاماً عن تنوع آليات الخطاب القصصي وأهدافه وطرقه وأساليبه وكيفياته المتقنة، فالقرآن الكريم يمكن تقسيم قصص الأنبياء الواردة فيه من حيث الطول؛ فهنالك قصص مطولة مثل: قصة إبراهيم، وقصة موسى، وقصة يوسف عليهم السلام، وبعض القصص متوسطة في الطول، لا هي قصيرة ولا هي مطولة، مثل: قصة يونس، وقصة سليمان، وقصة لوط عليهم السلام، وقصص بعض الأنبياء قصيرة، مثل: قصة إسماعيل، وقصة إسحاق

---

(١) انظر: الخالدي، صلاح، القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، ط١، ١٩٩٨م، دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، ١/ ص ٢٣- ٣٢

وهنالك بعض الأنبياء لا نعرف عنه إلا اسمه، مثل: إلياس، واليسع، وذي الكفل، عليهم السلام [1]، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف، ٣]؛ فالله سبحانه وتعالى هو الذي تولى القص على رسوله الكريم -هنا في هذا الموضع تحديداً- وهذا كرم وفضل منه، وهذا يدل على أهمية القصص في التوجيه والدعوة، وهذا يدعو إلى الثقة بكل ما قصه الله تعالى علينا وتصديقه، والجزم بأنه وقع كما أخبر الله [2]، ووصفت الآية قصص القرآن بأنه أحسن القصص؛ أي أنه أحسن من القصص البشري، مهما كان أسلوب القاص من البشر، ومهما كانت بلاغته وموهبته.

أما من ناحية إحصائية بحتة، يمكن تتبع نوعين من القصص القرآني بشكل مباشر وهي:

قصص الأنبياء الذين وردت قصصهم في القرآن -مع تفاوت المادة المعروضة- هم: آدم، نوح، هود، صالح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، لوط، شعيب، يعقوب، يوسف، موسى، هارون، داود، سليمان، يونس، إلياس، إدريس، زكريا، يحيى، عيسى، ثم محمد، عليهم الصلاة والسلام.

قصص غير الأنبياء وهي قصة ابني آدم، وقصة هاروت وماروت، وقصة الذي مر على القرية، وقصة الذي انسلخ من آيات الله، وقصة أصحاب السبت، وقصة أصحاب القرية، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة أهل الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة ذي القرنين.

وهنالك قصص لا يُجزم أن أصحابها أنبياء، لعدم ورود حديث صحيح معتمد، يُثبت لهم النبوة، كقصة لقمان.

وهنالك قصص متصلة مع قصص الأنبياء؛ فقصة أم موسى متصلة بقصة موسى، ومما يتصل بقصة موسى أيضاً قصة قارون وقصة مؤمن آل فرعون، وقصة بقرة بني إسرائيل، وقصة تيه بني إسرائيل، وقصة رحلة موسى مع الخضر.

وقصة ملكة سبأ متصلة مع قصة سليمان، وقصة مريم متصلة مع قصة عيسى، وقصة المائدة مرتبطة مع قصة عيسى، وقصة طالوت وجالوت متصلة مع قصة داود [3]، وهذا الاتصال بين القصص يؤكد لحمة وتناسق وتماسك النص القرآني عموماً، ويؤكد أن ما جاء في الجزء الأخير من القرآن الكريم (جزء عمَّ) يعد أحد المحاور الأساسية المتممة لفهم الخطاب القصصي القرآني بعمومه، والذي يحيل آخره إلى أوله كما أحالت دلالات ما بداخله إلى خارجه.

---

(١) انظر: الخالدي، صلاح، القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، مرجع سابق، ١/ ٢٧- ٢٨

(٢) المرجع السابق، ١/ ص ٢٩

(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، مرجع سابق، ١/ ص ٢٨- ٢٩

ويمكن حصر القصص في سور جزء عمَّ على النحو الآتي:

أولاً: قصص مباشرة؛ وهي قصص برز فيها السرد بشكل مباشر، وحضرت أغلب أركانه الأساسية، مثل:

١- قصة موسى وفرعون، قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾ **[النازعات، ١٥- ٢٦].**

٢- قصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع عبد الله عمرو ابن أم مكتوم رضي الله عنه، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ **[عبس، ١- ١٠].**

٣- قصة قوم من الكفار أحرقوا المؤمنين بالنار، وهؤلاء الكفار حاولوا بالمؤمنين أن يرتدوا عن دينهم ولكنهم عجزوا؛ فحفروا أخدوداً، وجمعوا الحطب الكثير وأحرقوا المؤمنين بها، قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ﴾ **[البروج، ٤-٦].**

٤- قصة طاغية قريش أبي جهل، مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩﴾ **[العلق، ٩- ١٩].**

٥- قصة أصحاب الفيل، وهم أهل اليمن الذين جاؤوا لهدم الكعبة بفيل عظيم أرسله إليهم ملك الحبشة، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۢ﴾ **[الفيل، ١-٥]**

٦- قصة قوم عاد وثمود، وقصة فرعون، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ **[الفجر، ٦- ١٤].**

٧- قصة ناقة صالح عليه السلام، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ **[الشمس، ١١- ١٥].**

٨- قصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع عمه أبو لهب، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ **[المسد، ١- ٥].**

٩- قصة تكذيب كفار قريش بيوم القيامة ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ **[النبأ، ١- ٥].**

١٠- قصة النبي محمد (ص)مع العاص بن وائل، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ **[الكوثر، ٣].**

ثانياً: قصص غير مباشرة؛ وهي القصص المبهمة أو التي قُدمت للمتلقي بشكل غير مباشر وفيها خروج عن أسلوب القرآن القصصي الذي كان دائماً يستهل قصصه بهل أتاك، أو أرأيت، أو نحن نقص عليك... إلخ، والإحالات القصصية أثناء الخطاب القرآني، وهي في جزء عمَّ كما يلي:

١- قصة المطففين، الذين اجتمعت فيهم سمات الشح والبخل وأكل حقوق الناس؛ وأدرجها البحث ضمن القصص غير المباشرة لعدة أسباب أبرزها: جاءت مسرودة، وفيها شخصيات، وفيها أحداث، وفيها نتائج؛ لكنها لم ترد ضمن الأسلوب القصصي القرآني، كما أن القصة فيها إبهام، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **[المطففين، ١- ٦].**

٢- قصة تجارة قريش في الشتاء والصيف؛ وأدرجها البحث ضمن القصص غير المباشرة لعدة أسباب أبرزها: جاءت مسرودة، وفيها شخصيات، وفيها أحداث، وفيها نتائج، وفيها أماكن، وفيها أزمنة، قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ **[قريش، ١- ٤].**

٣- إحالة قصصية إلى قصص ذُكرت بشكل مفصل في القرآن الكريم، ومن هذا النوع في سور جزء عمَّ: قصة فرعون مع نبي الله موسى، وقصة قوم ثمود مع نبي الله صالح، قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ۝١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾ **[البروج، ١٧- ١٨].**

إن النماذج السابقة، هي عينة الدراسة التطبيقية في الفصول اللاحقة، والتي ستقف عند كل مفردة وكل آية بشكل مفصل وفق منهج علمي دقيق، في محاولة استكناه السرد القصص، وآلياته، وسماته، وأساليبه الخطابية، وآثاره، وأهمية حضوره، وأنواعه، وجمالياته، ودلالاته، وإعجازه، ودور القص في لحمة القرآن الكريم بعمومه، وتناسق السرد القصصي مع مواضيع سور جزء عمَّ تحديداً.

الفصل الثاني: تجليات الخطاب السردي في قصص سور جزء عمَّ

المبحث الأول: مفهوم الخطاب

ذكر ابن فارس أنّ "الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطِبُهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ" [1]، وورد في لسان العرب أن الخطاب هو "مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا وهما يتخاطبان..."[2].

إن المعنى المعجمي لمفردة (خطاب) قريب بشكل كبير من معانيها الاصطلاحية التي استخدمها اللسانيون والنقاد الحداثيون، وذلك ما سيتم تفنيده بشكل مفصل في هذا المبحث، فالمعنى المعجمي يُجمع على ضرورة وجود طرفين يحدث بينهما عملية تواصل (مشافهة/ كتابة/ إشارة)، وهذه العملية تنشأ وفق مقصدية معينة من الطرف الأول تجاه الطرف الثاني، مما يعني استخدام استراتيجيات مناسبة لطبيعة كل خطاب وغاياته مع مراعاة سياقاته المقامية.

وقد ذُكرت مفردة (الخطاب) في القرآن الكريم في عدّة مواضع على صيغ مختلفة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ **[ص، ٢٠]، وقوله تعالى:** ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ **[ص، آية: ٢٣]، وقوله تعالى:** ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ **[النبأ، ٣٧].**

إن الآيات الكريمة السابقة ضمت مادة (خطب) وما اشتق منها وهنالك غيرها، فالخطاب ورد ثلاث مرات، والخطب ورد خمس مرات، والفعل خاطب ومضارعه تخاطب فقد تكرر ثلاث مرات، ثم كلمة (خطبة) -بكسر الخاء- قد وردت مرة واحدة؛ فتدبرها من خلال السياق القرآني يشير إلى أن هذه المادة تدور حول الأمر المهم، والشأن الكبير، والموقف العظيم الذي له صلة بعدد كبير من الناس، أو له تأثير في الفكر الذي يحمله الناس، أو يحاول الأنبياء أن يوصلوه لهم، فإن الخطاب ليس كلاماً عادياً، بل هو مواقف لها شأن مهم في حياة الناس.

وتنبغي الإشارة إلى أنّ نظرية النظم تحدّثت عن الخطاب عند الجرجاني بقوله: "فما كان من هذا وشبهه، لم يجب به فضلٌ إذا وجب، إلا بمعناه أو بمتون ألفاظه دون نظمه وتأليفه، وذلك لأنه لا فضيلة حتى ترى في الأمر مصنعًا، وحتى تجد إلى التحيز سبيلًا، وحتى تكون قد استدركت صوابًا"[3]، وهنا تنبيه إلى وجود علاقة بين المنتج للخطاب بالصياغة اللغوية، وتركيب المنظومة الأدبية عموماً، من اللفظة الواحدة إلى العلاقات المتبادلة بين الجمل التي تكون الخطاب.

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ٢/ ١٩٨

(2) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ١/ ٣٦١

(3) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣، ١٩٩٢م، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ص٩٨.

وينقل أبو البقاء الكفوي مفهومًا يزيد عن اللغة المنطوقة أو المكتوبة إلى الإشارات، في قوله: "الخطاب: اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيّئ لفهمه"[1]، احترز الكفوي (باللفظ) عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة، و(بالتواضع عليه) عن الألفاظ المهملة، و(بالمقصود به الإفهام) عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابًا، وبقوله: (لمن هو متهيئ لفهمه) عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم، والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع وعلى مدلولها القائم بالنفس، فالخطاب إما الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجه نحو الغير للإفهام.

أمّا في العصر الحديث فقد تنوعت مسميات الخطاب وطبيعة النظر إلى أنماطه؛ بسبب تطور عوامل الاتصال الحضاري، مما أدى إلى سعة وعي المبدع، وزيادة تعقيدات العصر المعاش "فإن هناك عدة أنماط من الخطاب ضمن (التشكيلة الخطابية) مثل (الخطاب المباشر)، الذي يتسم بأنه خطاب حواري يستغني عن كثير من التقنيات المجازية، ويمتلك إحالات بسيطة إلى الشيء، و(الخطاب الضمني) الذي يتعارض مع الخطاب المباشر، ويفسر على ضوء هذا التعارض، ويتميز بامتلاكه خلفية تميل إلى الجماعة (السوسيو – ثقافية)"[2].

وزيادة الوعي، وزيادة تعقيدات العصر، أدت إلى اختلافات التعريفات الاصطلاحية لمفهوم الخطاب؛ فمنها ما كان "بين النسخ عن الغرب، واتخاذ مفاهيمهم أساسًا للحكم على النص العربي، وبين الانطلاق من المفهوم الغربي و صياغة مفاهيم جديدة تتساوق والنص العربي المدروس، وفي الحالتين يصار إلى استبعاد الأساس العربي الذي رسم حدودًا لمفهوم الخطاب لا تبعد في جوهرها عن المفهوم الغربي الحديث له "[3]، لذا يجب أن نفهم الخطاب في مدلوله الأوسع، باعتباره كل لفظ يفترض متكلمًا و سامعًا، وعند الأول قصد التأثير في الثاني بطريقة معينة، ولا ضيرَ في طرح عدد من التعريفات الاصطلاحية لتوضيح ذلك على النحو التالي:

يُعدُّ حديثُ (دي سوسير) عن الكلام كلامًا يقصد في معناه الخطابي، مثلما ورد عن رابح بوحوش قوله: "تعود نشأة الخطاب الأولى إلى (فرديناند دي سوسير) صاحب كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة)... الكلام: هو نتاج فردي كامل يصدر عن وعي وإرادة، ويتصف بالاختيار الحر، وحرية الفرد الناطق تتجلى في استخدامه أنساقا للتعبير عن فكره الشخصي.. "[4].

ويقول سعيد يقطين : "لتحديد الخطاب وتحليله التحديد والتحليل المقبولين علينا أن نحدد الاتجاه الذي تنتمي إليه والمجال الذي نشتغل فيه وفق أسئلة ابستيمولوجية محددة. نجيب من خلالها عن هذه الأسئلة: لماذا هذا التعريف؟ ما هي الأدوات والإجراءات المناسبة؟ إلى ماذا نبغي الوصول؟ وكيف؟

ثم ذكر سعيد يقطين فعل التلفظ عند إميل (بنفنست) الذي يعرف الخطاب "باعتباره الملفوظ منظوراً إليه من وجهة آليات و عمليات اشتغاله في التواصل " [5] .

---

(1) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، ط١، ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٤١٩.

(2) حنفي، حسن، وآخرون، تحليل الخطاب العربي، ط١,١٩٩٨م، جامعة فيلادلفيا، عمّان، ص١١١.

(3) العتوم، مهى محمود إبراهيم، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤، ص٢٠.

(4) بوحوش، رابح، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ط١، ٢٠٠٦، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، ص ٢٦

(5) المرجع السابق، ص ١٩.

وذكر (زيليغ هاريس) تعريف الخطاب بأنه "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض" [١].

وجمع فرحان بدري الحربي مقولات مهمةً قيلت في الخطاب محاولاً إظهار وجوه التطور الحاصل في المفهوم، يقول[٢]:

الخطاب مصطلح مرادف للكلام parole، بحسب رأي (سوسير) اللساني البنيوي، وهناك خطاب أدبي بحسب رأي (موريس).

الخطاب وحدة لغوية ينتجها الباث (المتكلم)، وتتجاوز أبعاد الجملة أو السالة، بحسب رأي (هاريس).

هو وحدة لغوية تفوق الجملة تولد من لغة جماعية بحسب (بنفنست).

مفهوم الخطاب يقابل مفهوم الملفوظ، في المدرسة الفرنسية، إذ أنهم يرون أن النظر إلى النص بوصفه بناء لغويا يجعل منه ملفوظا أما البحث في ظروف إنتاجه وشروطه فإنه يجعل منه خطابا.

وهو نظير بنيوي لمفهوم الوظيفة ، في استعمال اللغة، بحسب رأي (تودوروف).

لذا فهو أيّ منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع وللراوي نيّة التأثير في الآخر بطريقة ما كما يقول (بنفنست)".

ونجد أنّ عبد الهادي الشهري ركّز الاصطلاح اللغوي من الخطاب، وتبنّى في ذلك وجهة نظر كل من (ديبورا شيفرن) و(جيفري ليتش) . يقول: "حدُّ الخطاب أنّه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودًا مخصوصًا"[٣].

وعرّفت خلود العموش الخطاب تعريفًا تواصليًّا، في قولها: " نجد أنّ الخطاب كلمة تستخدم للدلالة على كل الكلام متصل اتصالًا يمكنه من أن ينقل رسالة كلامية من المتكلم أو الكاتب"[٤].

أمّا أحمد المتوكل فإنّه "يعدُّ خطاباً كلَّ ملفوظٍ مكتوبٍ يشكلِ وحدة تواصلية قائمة الذات"[٥].

ومن خلال هذا التعريف يمكن استنتاج ثلاثة أمور[٦]:

أولًا: تحييد الثنائية التقابلية (جملة/ خطاب) فأصبح الخطاب شاملًا للجملة.

ثانيًا: اعتماد التواصلية معيارًا للخطابية.

ثالثًا: تحييد معيار الحجم من تحديد الخطاب؛ إذ أصبح ممكنًا أن يُعَدَّ خطابًا نصٌّ كاملٌ أو جملةٌ أو مركبٌ..

---

(١) المرجع السابق، ص ١٧.

(٢) انظر: الحربي، فرحان بدري، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ط١، ٢٠٠٠م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ص ٣٩- ٤٠.

(٣) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ط١، ٢٠٠٤م، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ص٣٩.

(٤) العموش، خلود، الخطاب القرآني، ط١، ٢٠٠٨م، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص٢٤.

(٥) المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ط١، ٢٠١٠م، منشورات الاختلاف، ، المغرب، ص ٢٤.

(٦) انظر: المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية، مرجع سابق، ص٢٤.

وعرف المسيري الخطاب بأنه "نظام من القول له قواعده وخواصه التي تحدد بشكل الجمل وتتابعها، والصور المجازية، والخواص اللفظية، ونوع الأسئلة التي تسأل، والموضوعات الأساسية الكامنة، وما يقال وما يسكت عنه، أي أنها تجدد الاستدلالات والتوقعات الدلالية"[١].

كما ويتضح من كل ما سبق أن الخطاب مفهوم أوسع وأشمل من الجملة، ويتحدد معناه بناءً على التلفظ أو العلاقة بين طرفين: مخاطِب و مخاطَب، "فالخطاب في هذا الفهم ذو طابع كلي و شمولي، لا يتوقف على البعد اللساني وحده، ولا على البعد الاجتماعي والتاريخي الذي يعتبر النص انعكاسًا لحركة الدلالة في التاريخ، كما لا يقتصر على البعد التداولي المعني بالتواصل في موقف محدد، لكنه يمازج بين هذه الأبعاد نظرًا وتطبيقاً " [٢].

وعلى ذلك فإن الخطاب قد أخذَ مفهومه بالنسبة إلى الوحدات اللسانية الأخرى كالآتي[٣]:

بالنسبة إلى الجملة: يعد الخطاب وحدة فوق جملة.

بالنسبة إلى الملفوظ: يشكل الخطاب وحدة تواصلية مجموعة بظروف إنتاج معينة وتشير إلى جنس معين من أجناس الخطاب، بينما النظر إلى النص من جهة بنائه اللغوي يجعلنا نتكلم عن ملفوظ هو نتاج عملية التلفظ، بينما يكون تحليل ظروف إنتاج هذا النص حديثا عن الخطاب .

بالنسبة إلى التلفظ: يعد التلفظ حاملاً نوعيًا لسياق الخطاب، وعلى هذا فهو ضروري في اعتبار الملفوظ خطابًا".

ولعل ما ذهب إليه الفجاوي، إلى دلالة الخطاب في القرآن الكريم، في كتابه: (خطاب العقل عند العرب)، قد يكون صوابًا في قوله: " فالرسالة ليست مجرد كلام فحسب، بل هي كلام حامل لمشروع، والرسالة السماوية هي مشروع مخلص للبشرية من العذاب الذي تردت فيه بسبب خياراتها الوضعية، إذن الرسالة (خطاب)، والخطاب مشروع حضاري، وكل هذه الدلالات تولدت من معنى (الخطب)" [٤] المتكررة في الآيات التي أشار إليها البحث سابقاً.

ولا ينبغي أن يفهم من هذا أن الخطاب يقتصر على الكلام الشفوي الذي يتحدث به الناس، فالخطاب يمكن أن يكون أيضاً من خلال النص المكتوب الذي ينتقل من مرسل إلى مرسل إليه [٥].

ويرى البعلبكي أن الخطاب يطلق على الكلام المنطوق خاصة، أو المكتوب، وعلى الحوار عندما يتجاوز الجملة الواحدة [٦]، ولعل القول الأخير فيه فكرةٌ تكمن حقيقتها عند التأمل في كتاب الله تعالى عندما شاء تعالى أن ينزل الكتاب في صورة قرآن يقرأ ويتلى على الناس، ويحفظه الناس ويتناقلونه عبر العصور بطريق الحفظ والتلاوة والترتيل، لا عن طريق الكتابة والحفظ من السطور.

---

(١) المسيري، عبد الوهاب، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، ط٢، ٢٠٠٥م، دار الشروق، القاهرة، ص٣٩.

(٢) عيد، محمد عبد الباسط، النص والخطاب – قراءة في علوم القرآن، ط١، ٢٠٠٩، مكتبة الآداب، القاهرة، ص١٧.

(٣) انظر: طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ط١، ٢٠١١م، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص ١٨٤.

(٤) الفجاوي، مختار، خطاب العقل عند العرب، ط١، ١٩٩٣م، المطبعة العصرية، تونس، ص ٤٨-٤٩

(٢) انظر: وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، معجم المصطلحات اللغوية في اللغة والأدب، ط١، ١٩٨٤م، مكتبة لبنان، بيروت، ص١٥٩

(٣) انظر: البعلبكي، رمزي، معجم المصطلحات العربية، د.ط، ١٩٩٠م، دار العلم للملايين، بيروت، ص١٥٣

المبحث الثاني: أنواع الخطاب القصصي في سور جزء عمَّ وأساليبه

إن أنواع الخطابات، يصعب حصرها في أنماط محدّدة ومقاييس واضحة، ويرجع هذا إلى أنّ هناك خطابات كثيرة جدًّا، وهنالك مَن حاول أن يحدِّدَ أنواع الخطاب كما أوردَ فرحان الحربي في قوله: "يمكن تحديد نوع الخطاب، فهناك نوعان من الخطاب الأول إيصالي، و الآخر إبداعي، مدارس الدرس في الأول يقوم حول سؤالين، ماذا يقول الخطاب؟ من ذا الذي يقول؟ ، أما الآخر فإن الدرس يدور فيه حول سؤال واحد هو كيف يقول الخطاب ما يقول؟"[1]، في محاولة تصنيف الخطاب حسب أطرافه وحسب غاياته ومقاصده.

وقد تناول الشهري التعدد الخطابي بصيغة الاستراتيجيات؛ فيقول :" يتجلى هذا التنظيم عند التلفظ بالخطاب، في ما يسمى باستراتيجية الخطاب وهذا يعني أن الخطاب المنجز يكون خطابًا مخططاً له، بصفة مستمرة شعورية. ومن هنا، يتحتم على المرسل، أن يختار الاستراتيجية المناسبة، التي تستطيع أن تعبر عن قصده... وتتدخل عناصر السياق الاجتماعية في تحديد استعمالات اللغة، وفي انتشار بعض الاستراتيجيات على حساب انحسار البعض الآخر [2]، في محاولة معرفة نوع الخطاب بناءً على الاستراتيجية المتبعة في إيصاله.

وفي الدراسات الحديثة التي اهتمت بالحديث عن الخطاب، وبيان مفهومه وعناصره، وخصائصه، وجد الباحث وصفاً عميقاً لحقيقة الخطاب الإنساني، ولكن هذا الوصف يتحدث عن خطاب الإنسان للإنسان، وهو عرضة لأن يعتريه ما يتعرض له الإنسان من مضايقات، وتقييد لحرية القول، سواء أكان هذا من عند المسؤولين، أو من تحكم الظروف الاجتماعية، والعادات المستحكمة في حياة الناس.

يقول مختار الفجاوي ناقلًا وجهة نظر ميشال فوكو في أنّ الخطاب يتحدث عن خطاب الإنسان للإنسان بقوله: "والخطاب عند فوكو -كما نظر له- كلام مقموع؛ فالمتكلم لا يقول ما يريد، بل يقول ما يجب أن يقال [3]. ثم ينقل له النص كاملًا فيقول: " نعلم جيداً أنه ليس الحق في قول كل شيء، ولا الحديث عن أي شيء، في أية مناسبة، وأن أي شخص لا يستطيع أن يتحدث كيفما اتفق في نهاية المطاف. ثمة قدسية الموضوع، وطقوس المقام، وحق الأفضلية، أو حق التفرد الذي يتمتع به الشخص المتحدث، نحن هنا بإزاء ثلاثة أنماط من الحذر، تتعانق وتتآزر ويعدّل بعضها بعضاً، لتشكل جميعاً مصفاة تخضع لتحرير مستمر..." [4].

وهذه الرؤية ليست حاسمةً في التحديد؛ لأنّ بإمكاننا القول: خطاب قانوني وخطاب غير قانوني، وخطاب سياسي وخطاب غير سياسي، وخطاب تفسيري وخطاب غير تفسيري ولذلك لا يمكن تصنيفها نظرًا لتعددها اللانهائي، وإنما يمكن عن طريق المحاولة حسب حاجة الدرس، بابتكار مقياس معين.

---

(1) بو حوش، رابح، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص ٨٨.

(2)الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ط ١، ٢٠٠٤م، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ص٥٦.

(3) الفجاوي، مختار، خطاب العقل عند العرب، ط١، ١٩٩٣م، المطبعة العصرية، تونس، ص٦٠

(4) نقلاً عن كتاب فوكو: نظام الخطاب، جينيالوجيا المعرفية، ترجمة: أحمد الطائي، ط١، ١٩٨٨م، المغرب، ص٦١

ومن الطبيعيّ أن يهتم علماء اللغة من الذين درسوا الخطاب أن يبيّنوا عناصره وما يشتمل عليه من أجزاء تكوّن الخطاب، فعملية الكلام -حسب رأي توفيق شاهين- تتم وفق[1]:

التفكير العقلي أولاً، ونظراً لأن التشريح للمخ لم يكشف عن ديناميكية وماهيته تماماً، فإن الباحث اللغوي لا يقف طويلاً عند عملية التفكير وتفسيرها بالتفصيل، أمام هذه العملية الفكرية الأولية.

إصدار الكلام من جهاز النطق (production).

الموجات الصوتية الخارجة من فم المتكلم، والواصلة -عبر الهواء- إلى أذن السامع (Trasmission).

العمليات العضوية التي تقوم بها أجزاء الأذن (Reception) بعد استقبالها للصوت.

ترجمة المخ للرسالة التي وصلته، والتصرف على مقتضاها، حينما يكون الكلام مفهوما ومفيداً .

ومعنى هذا أنه لا بد من متكلم ومخاطَب وأشياء تجول في الفكر يراد الحديث عنها، ورموز متفق عليها، لها في الذهن صور ومعان معينة.

أمّا الخطاب القرآني بعمومه، فإنّه امتاز بأساليب متنوعة؛ إذ يمكن أن يكون باللغة مباشرة بين المرسل والمتلقي، كتابة أو كلامًا، أو من خلال إدراك أسرار الحروف، والمفردات، والتراكيب، وما تحمله من إشارات ودلالات في اختيار حرف دون حرف، أو كلمة دون أخرى، أو ترتيب الكلام وفق القواعد الأساسية، أو ما يتطلبه الموقف من تقديم وتأخير، أو تعريف وتنكير، أو إفراد وجمع، أو المخالفة بين الصيغ الفعلية، وغيرها.

وتنوعت أساليب الخطاب في القرآن الكريم، وَفْقَ ما تقتضيه الحكمة الإلهية من أهداف الخطاب، وتشترك جميع هذه الأساليب في الإعجاز الإلهي المستمر في الآيات القرآنية، فالإعجاز القرآني هو الصورة الكلية التي نزل بها القرآن الكريم. مع وجود عدّة أنواع للإعجاز ذُكرت عند العلماء، وهي: الإعجاز اللغوي، والإعجاز العلمي، والتشريعي، والتاريخي، والبياني، والإعجاز في الإخبار عما كان وعما سيكون؛ مع ميلي إلى أنّه يجب أن يُنظر إلى القرآن الكريم بحكمة وقوة وحسم واقتدار؛ لأنه منهاج الله الأمثل في الأرض الذي يجب أن يتمسك الناس به.

القرآن الكريم مُعجز كله، وحفظه الله عز وجل معجزاً، جعل الله تعالى له منهاجاً وآلياتٍ لتحفظه كما هو، على الصورة التي نزل بها، فالقرآن الكريم وحدة واحدة، معجز كله، بكل حروفه وكلماته وآياته وسوره، لا يخرج حرف عن السياق الذي أراده الله تعالى فيه، ولا لفظ، ولا تركيب، ولا آية، ولا سورة؛ فكل شيء في مكانه، وله دلالته، وله معناه الذي أراده الله عز وجل. وهذا ما أشار إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في وصف القرآن، أنّه "كتاب الله تعالى، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل،... هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنتهي عجائبه..."[2]

([1]) انظر: شاهين، توفيق محمد، علم اللغة العام، ط١، ١٩٨٠م، مكتبة وهبة، القاهرة، ص٧٠

([2]) انظر نصّ الحديث بتمامه في: القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، (تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، ١٩٦٤م، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، ١/ ٥

وعليه فإن القرآن معجز كله؛ لأنه وحدة واحدة متكاملة في حديثه عن كل ما يلزم الإنسان في أمور حياته، فمثلًا لا ينفصل حديث القرآن عن الأخلاق، عن حديثه عن العلم، أو عن الجهاد، أو عن الأسرة، أو عن العلاقات الاجتماعية، القرآن حياة شاملة، تقفُ فيه المعاني والدلالات مع التعبير السامي المعجز، ففي الحديث عن موضوع ما، أو عن قصة مثلًا تجد الكلمات تقدم لك حقيقةً علميةً خالدةً، أو مشهداً تاريخياً حياً، أو حقيقةً نفسيةً.

وعند تتبع أنواع الخطاب القصصي وأساليبه في جزء عمَّ، يمكن للبحث أن يقسمه كما يلي:

أولاً: الخطاب القصصي الإخباري

وهو الخطاب الذي يُخبر عن قصص حدثت في الماضي لأهداف معينة ومقصودة بذاتها، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾ **[النازعات، ١٥- ٢٦].**

يرى الزمخشري في تفسير الآية الأولى من هذا الخطاب أن الله تعالى: "بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض، كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا، وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول"[1]، ويرى الباحث أن الزمخشري لم يعاين الاستفهام في هذه الآية كما ينبغي، أو لم يُنزل الاستفهام منزله المقصود من النواحي الدلالية أو التداولية (البراغماتية)، وليس تطاولاً منه على الزمخشري -رحمه الله- أو التشكيك بقدراته وعلمه، لكن أثناء عملية البحث في التفاسير القرآنية وجد الباحث أن المعنى المقصود من توظيف أسلوب الاستفهام في هذه الآية، لم يصل إليه الزمخشري، بل اقترب منه حين أشار إلى مسألة رقة الكلام والتلطف في الحديث.

ولتوضيح ذلك أكثر، نأخذ مثلاً تفسير ابن عثيمين، فيقول في هذه الآية: "الخطاب في قوله: (هل أتاك) للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو لكل من يتأتى خطابه ويصح توجيه الخطاب إليه، ويكون على المعنى الأول: (هل أتاك يا محمد)، وعلى المعنى الثاني: (هل أتاك أيها الإنسان) (حديث موسى)... وفي قوله (هل أتاك حديث موسى) تشويق للسامع ليستمع إلى ما جرى في هذه القصة"[2]، فالمسألة هنا ليست مسألة عرض بدعوى الإقبال المادي مثلما شبهها الزمخشري، بل الإقبال الذهني والفكري والعقلي للاستماع إلى تفاصيل هذه القصة والإخبار عنها، ومن ثم، ورد بعد أسلوب الاستفهام تفاصيل قصة موسى عليه السلام مع فرعون بشكل مكثف وموجز ومختصر؛ لأن هذه القصة تم تفصيلها في مواضع أخرى من القرآن الكريم، وهذا ما يمكن أن يُضاف إلى تفسير توظيف أسلوب الاستفهام في بداية الخطاب بعمومه.

---

(1) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، ١٤٠٧ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ٤/ ٦٩٥

(2) العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم: جزء عمَّ، مرجع سابق، ص ٤٣- ٤٥

ومن النماذج الأخرى على الخطاب الإخباري، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل، ١-٥].

يخاطب الله تعالى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو يخاطب كل من يصح توجيه الخطاب إليه، فعلى الأول يكون خطاب النبي صلى الله عليه وسلم خطاب له وللأمة؛ لأن أمته تابعة له، وعلى الثاني يكون الخطاب عام له ولأمته، ابتداءً[1]، وعلى كلٍّ فإن الله تعالى يقرر ما فعل سبحانه بأصحاب الفيل[2] ويُخبر عنه، وأسلوب الخطاب القصصي بعمومه لم يُفصّل أحداث واقعة الفيل؛ لعدة أسباب منها أنها حديثة العهد بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه، وعام الفيل هو الذي ولد به النبي صلوات الله عليه وتحديداً في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول لعام ثلاثة وخمسين قبل الهجرة.

وأسلوب الخطاب كان وفق الاستفهام أيضاً، كما في المثال السابق، والاستفهام هنا تقريري يعرف إجابته كل مستمع له في ذلك المكان والزمان تحديداً، قال الزمخشري: "وقرئ: (ألم تر)، بسكون الراء للجد في إظهار أثر الجازم: والمعنى: أنك رأيت آثار فعل الله بالحبشة، وسمعت الأخبار به متواترة، فقامت لك مقام المشاهدة"[3]، وهذا من بلاغة القرآن الكريم ودقة ألفاظه ومعانيه، فعموم السورة تبين منّة الله تعالى على (قريش) أهل مكة، حين أنقظهم من الكارثة التي كانت ستحل بهم.

ومن الأمثلة الواردة في جزء عمَّ على الخطاب القصصي القرآني، قصة تجارة أهل مكة في سورة (قريش)، قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ [قريش، ١- ٤].

والخطاب في هذه السورة (قريش) مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسورة التي قبلها (الفيل)؛ إذ أن السورة التي قبلها فيها بيان منة الله عز وجل على أهل مكة بما فعل بأصحاب الفيل الذين قصدوا مكة لهدم الكعبة، فبين الله تعالى في هذه السورة (قريش) نعمة أخرى كبيرة على أهل مكة (قريش) وهي إلافهم مرتين في السنة، مرة في الشتاء ومرة في الصيف[4].

---

(1) انظر: المرجع السابق، ص ٣٢٣

(2) أصحاب الفيل هم أهل اليمن الذين جاؤوا لهدم الكعبة بفيل عظيم أرسله إليهم ملك الحبشة؛ وسبب ذلك أن ملك اليمن أراد أن يصد الناس عن الحج إلى الكعبة، بيت الله عز وجل، فبنى بيتاً يشبه الكعبة، ودعى الناس إلى حجه ليصدهم عن حج بيت الله، فغضب لذلك العرب، وذهب رجل منهم إلى هذا البيت الذي جعله ملك اليمن بدلاً عن الكعبة وتغوَّط فيه، ولطخ جدرانه بالقذر، فغضب ملك اليمن غضباً شديداً، وأخبر ملك الحبشة بذلك، فأرسل إليه هذا الفيل العظيم، قيل: وكان معه ستة فيلة لتساعده فجاء ملك اليمن بجنوده ليهدم الكعبة على زعمه، ولكن الله سبحانه حافظ بيته، فلما وصلوا إلى مكان يسمى المغمَّس وقف الفيل وحرن، وأبى أن يتجه إلى الكعبة، فزجره سايسه ولكنه أبى، فإذا وجهوه إلى اليمن انطلق يهرول، وإن وجهوه إلى مكة وقف. انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية =والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٩٩٧م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، مصر، ٣/ ١٣٩

(3) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مرجع سابق، ٤/ ٧٩٩

(4) انظر: العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم: جزء عمَّ، مرجع سابق، ص ٣٢٥

وتجلى في هذه السورة الخطاب الإخباري، الذي أخبر عن رحلة التجارة التي كان يقوم بها أهل مكة، مرة في الشتاء حين كانوا يتجهون نحو اليمن للمحصولات الزراعية فيه؛ ولأن الجو مناسب، وأما في الصيف فيتجهون إلى الشام؛ لأن غالب تجارة الفواكه وغيرها تكون في هذا الوقت في الصيف مع مناسبة الجو البارد[1]، فهي نعمة كبيرة من الله تعالى عليهم، ونتيجة لذلك أمرهم أن يعبدوا رب هذا البيت (الكعبة)، الذي أطعمهم من جوع في التجارة، وآمنهم من خوف مع أصحاب الفيل.

ومن بين الأمثلة الواردة في جزء عمَّ على الخطاب الإخباري، قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا﴾ [الشمس، ١١- ١٥].

هذا الخطاب القصصي يُخبر عن قوم (ثمود) وعاقبتهم، وكما سبقه -في الأمثلة السابقة- لم يُفصّل القول بقصة نبي الله صالح عليه السلام مع قومه؛ لأنها وردت بنوع من التفصيل في مواضع متنوعة من القرآن الكريم، ووردت القصة هنا في هذا الموضع لغاية معينة وهي إظهار مدى قدرة الله تعالى وقوته، فكما خلق الشمس والقمر والليل والنهار، وكما خلق السماء والأرض، وكما خلق البشر جميعاً، وكما أوجد في كل نفس نوع من الإلهام الإيماني الذي يدل على وجوده وقوته سبحانه، قادر على إبادة كل شيء مثلما فعل بقوم ثمود.

وجاء في تفسير الطبري أن "قوله: (فكذبوه فعقروها) يقول: فكذبوا صالحًا في خبره الذي أخبرهم به، من أن الله الذي جعل شرب الناقة يوماً، ولهم شرب يوم معلوم، وأن الله يحل بهم نقمته، إن هم عقروها، كما وصفهم جل ثناؤه فقال: (كذبت ثمود وعاد بالقارعة)، وقد يحتمل أن يكون التكذيب بالعقر. وإذا كان ذلك كذلك، جاز تقديم التكذيب قبل العقر، والعقر قبل التكذيب، وذلك أن كل فعل وقع عن سبب حسن ابتداؤه قبل السبب وبعده، كقول القائل : أعطيت فأحسنت، وأحسنت فأعطيت؛ لأن الإعطاء هو الإحسان، ومن الإحسان الإعطاء، وكذلك لو كان العقر هو سبب التكذيب، جاز تقديم؛ أي: ذلك شاء المتكلم . وقد زعم بعضهم أن قوله : (فكذبوه) كلمة مكتفية بنفسها، وأن قوله: (فعقروها) جواب لقوله: (إذ انبعث أشقاها) كأنه قيل: إذ انبعث أشقاها فعقرها، فقال: وكيف قيل (فكذبوه فعقروها) وقد كان القوم قبل قتل الناقة مسلمين، لها شرب يوم، ولهم شرب يوم آخر. قيل جاء الخبر أنهم بعد تسليمهم ذلك أجمعوا على منعها الشرب، ورضوا بقتلها، وعن رضا جميعهم قتلها قاتلها، وعقرها من عقرها ولذلك نسب التكذيب والعقر إلى جميعهم ، فقال جل ثناؤه (فكذبوه فعقروها)"[2]، وهذه التفاصيل غير مذكورة بشكل مباشر في الخطاب القصصي قيد الدراسة، بل أخبرنا عنها بشكل موجز أحال إلى تفاصيل هذه القصة الواردة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم.

---

(1) انظر: المرجع السابق، ص ٣٢٥

(2) الطبري، محمد بن جرير، (تفسير الطبري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ٢٤/ ٤٦١

ثانياً: الخطاب القصصي الوعظي :

وهو أحد أهم الأسباب التي جاءت القصص القرآنية من أجله، فـــ" الوعظ والعظة والموعظة: هي النصح والتذكير بالعواقب"والخطاب الوعظي في القصص القرآنية -عموماً- كان لغايات معينة ومحددة تصل إلى عقول الناس وفق أسلوب فيه حكمة وموعظة حسنة، ورقة للتأثير والإقناع والاعتبار بما حدث للأقوام الغابرة، وقد يكون الخطاب مخصصاً في ظاهره وعاماً في باطنه، وقد يكون عاماً في ظاهره وخاصاً أي المقصود شيء معين- في باطنه.

ومثال الخطاب الوعظي في جزء عمَّ قصة المطففين، في قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين، ١- ٦].

هذا الخطاب أدرجه البحث ضمن القصص غير المباشرة -كما أسلف- فهو خطاب مبهم في تحديد الهوية الإنسانية لهؤلاء المطففين؛ أي من أي قوم؟ أو من أي قبيلة؟ أو في أي أرض؟ خصوصاً أن الاسم الموصول (الذين) أوحى أنهم معرفة غير نكرة في السياق القصصي القرآني، ومثل هكذا تساؤلات أجابت عنها الآيات اللاحقة، فأخرجت الخطاب من حالة التحديد والتخصيص الظاهرة في تحديد هوية هؤلاء المطففين إلى الحالة الجمعية؛ أي إلى أن الخطاب موجه إلى كل مَن يقوم بما قام به هؤلاء من بخس وأكل حقوق الآخرين.

وبدأ الخطاب بكلمة (ويل)، "والويل للعلماء فيه قولان مشهوران: القول الأول؛ أنه وادٍ في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار، وقد وردت في هذا الباب عدة أخبار عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لكن في تفسير كل خبر منها ضعف بل ضعف شديد، فمن العلماء من قواها بمجموع طرقها، ومنهم من ضعف مفرداتها، أما القول الثاني في تفسيرالويل؛ أنه دعاء بالهلاك كما قال الكافر: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ [الفرقان، ٢٣] (فويل) أي هلاك وعذاب للمطففين

فالخطاب الوعظي في قصة المطففين بدأ بوعيد وتوعد من الله تعالى لهم أو مَن شابههم في الوصف أو الفعل، وخُتم هذا الخطاب بما تلى مفردة (يظنون)؛ ورأى ابن عثيمين أن الظن هنا يعني "اليقين؛ لأن الظن ورد في القرآن الكريم بمعنى اليقين في مواضع كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة، ٤٦]"[1]، وأختلف معه في ذلك؛ لأن المطففين لم يقوموا بأفعالهم وهم على يقين من لقاء الله تعالى؛ بل غائب عن ذهنهم الله جل جلاله، وألهتهم الدنيا وملذاتها، والآية التي استشهد بها ابن عثيمين سياقها القرآني يختلف اختلافاً كلياً عن سياق سورة المطففين، فكلمة (يظنون) الواردة في سورة البقرة كانت تشير إلى المؤمنين بالله تعالى من بني إسرائيل، فكلمة (يظنون) فعلاً تعني أنهم (يوقنون) في موضعها ومكانها وسياقها ودلالتها، وذلك لا ينطبق هنا..

([1]) العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم: جزء عمَّ، مرجع سابق، ص ٩٥

ومن الأمثلة على الخطاب الوعظي في جزء عمَّ قصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم رضي الله عنه الواردة في سورة (عبس)، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [عبس، ١- ١٢].

ولا شك أن هذا الخطاب يقدّم درساً تربوياً لجميع الدعاة إلى الله تعالى ورسالة الإسلام حول كيفية التعامل مع الناس ووعظهم، وعدم التفريق بينهم وفق مناصبهم، ومكاناتهم الاجتماعية، وأحوالهم الشخصية، والسبب الثاني أن هذا الخطاب بدا أنه زاجرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم في موقف معين وهو مع ابن أم مكتوم[١] رضي الله عنه؛ ولكن هذا الخطاب خاص في ظاهره وعام في باطنه يشمل كل مَن ينطبق عليه الموقف أو السياق ذاته.

ونتيجة هذا الخطاب الوعظي الإلهي "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه (أي ابن أم مكتوم) ويقول إذا رآه: مرحبا بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة؟"[٢]، فنبي الله حين تعرض لهذا الموقف كان يراعي أمرين: الأول الرجاء في إسلام هؤلاء العظماء، والأمر الثاني ألا يزدروا النبي في كونه يلتفت إلى هذا الرجل الأعمى الذي هو محتقر عندهم، كما قال قوم نوح عليه السلام: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود، ٢٧]، ولا شك أن هذا اجتهاد من الرسول الكريم وليس احتقاراً لابن أم مكتوم؛ لأننا نعلم أن النبي لا يهمه إلا أن تنتشر دعوة الحق بين عباد الله، وأن الناس عنده سواء[٣]، فالعظة والتوجيه كانت للنبي ومَن يحملون لواء رسالته من بعده.

ومن الأمثلة على الخطاب القصصي الوعظي الذي يهدف إلى الاعتبار والاتعاظ بما حدث للأمم السابقة والغابرة حين غضب عليهم الله تعالى وعاقبهم أو مَن توعدهم بعذاب أليم يوم الحساب في سور جزء عمَّ : قصة نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون[٤]، وقصة نبي الله صالح عليه السلام مع قومه[٥]، وقصة أصحاب الأخدود[٦]، ولم يُفصل البحث القول بهذه القصص كي لا يقع في التكرار أو اجترار ما إليه المفسرون.

---

(١) "روي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مشغولاً مع صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام، وكان يطمع في إسلامهم رجاء أن يسلم أتباعهم، فبينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشتغل بمن عنده من وجوه قريش، جاء إليه «عبد الله بن أُم مكتوم» وهو أعمى، فقال يا رسول الله: علمني مما علَّمك الله، وكرَّر ذلك وهو لا يعلم أن الرسول مشغول مع هؤلاء إنما أتباعه العميان والسَّفلة والعبيد، فعبس وجهه وأقبل على القوم يكلمهم فأنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ الآيات". الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ط١، ١٩٩٧م، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٤٩٤/٣

(٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مرجع سابق، ٤/ ٧٠١

(٣) انظر: العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم: جزء عمَّ، مرجع سابق، ص ٦٠

(٤) انظر: سورة النازعات، الآية ١٥- ٢٦، وسورة الفجر الآية ١٠، وسورة البروج، الآية ١٨

(٥) انظر: سورة الشمس، الآية ١١- ١٥، وسورة الفجر، الآية ٦-١٤، وسورة البروج، الآية ١٨

(٦) انظر: سورة البروج، آية: ٤-٦

ثالثاً: خطاب المواساة القصصي :

وهو الخطاب الذي يحمل في طياته مواساة وحث على الصبر وضرورة التوكل على الله تعالى والإيمان بعدله وقدرته، وتكرر هذا الخطاب في جزء عمَّ في خضم التحديات التي واجهها النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومَن آمن معه من أصحابه.

ومثال ذلك قصة طاغية قريش أبو جهل[1]، مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾ [العلق، ٩- ١٩].

بدأ خطاب المواساة بأسلوب "تعجبٌ من حال ذلك الشقي الفاجر أي أخبرني يا محمد عن ذلك المجرم الأثيم، الذي ينهى عبداً من عباد الله عن الصلاة، ما استخف عقله، وما أشنع فعله! قال أبو السعود: هذه الآية تقبيحٌ وتشنيعٌ لحال الطاغي وتعجيب منها، وإيذان بأنها من الشناعة والغرابة بحيث يقضى منها العجب، وقد أجمع المفسرون على أن العبد المصلي هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الذي نهاه هو اللعين «أبو جهل» حيث قال: لئن رأيتُ محمداً يصلي لأطأن على عنقه"[2]، وأسلوب التعجب هذا تكرر في عدد من الآيات اللاحقة.

وخطاب المواساة صاحبه ردع وزجر، فقال تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾؛ "أي ليرتدع هذا الفاجر (أبو جهل) عن غيّه وضلاله، فو الله لئن لم ينته عن أذى الرسول، ويكف عمَّا هو عليه من الكفر والضلال ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾؛ أي لنأخذنه بناصيته مقدم شعر الرأس فلنجرنه إلى النار بعنفٍ وشدة ونقذفه فيها... ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾؛ أي فليدع أهل ناديه وليستنصر بهم ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾؛ أي سندعو خزنة جهنم، الملائكة الغلاظ الشداد"[3]، وهذا الخطاب في ظاهره خاص بأبي جهل، لكن باطنه عام يشمل كل مَن تنطبق عليه صفاته أو أفعاله، أو جزء منها، وفيه تصبير للرسول الكريم وأصحابهم، وانتصار لهم، ورفع لمعنوياتهم، وتثبيت إيمانهم وتذكير بقوة الله تعالى وقدرته.

---

(١) "روي أن أبا جهل قال لأصحابه يوماً: هل يُعفِّر محمد وجهه بين أظهرهم؟ يريد هل يصلي ويسجد أمامكم قالوا: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأنَّ على رقبته، ولأُعفرنَّ وجهه في التراب، فجاء يوماً فوجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي، فأقبل يريد أن يطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ قال: إن بني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنحة فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :» لو دنا مني لاختطفته الملائكةُ عضواً عظواً «فأنزل الله ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ إلى آخر السورة".

الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٥٥٤/٣

(٢) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣/ ٥٥٥

(٣) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣/ ٥٥٦

ومثال خطاب المواساة للنبي صلى الله عليه وسلم قصته مع عمه أبو لهب، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد، ١- ٥].

ومناسبة نزول هذه السورة ذكرها ابن عباس حين قال: "لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء، ٢١٤]، صعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصفا ونادى: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون من قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو الخبر، فاجتمعت قريش وجاء عمه (أبو لهب) فقالوا: ما وراءك؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أرأيتكم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدِّقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك كذباً قط، قال: فإني ﴿نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ، ٤٦] فقال له أبو لهب: تباً لك يا محمد سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ . . السورة"[1].

وخطاب المواساة تجلى بالرد الإلهي على ذلك الفاسق (أبي لهب)، فبدأ بما انتهى به خطاب أبي لهب، فقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ فتبت الأولى دعاء، والثانية إخبار عمّا سيحل به[2]، ودل على ذلك قوله تعالى ﴿سَيَصْلَىٰ﴾ "قرئ بفتح الياء وبضمها: مخففًا ومشددًا، والسين للوعيد، أي: هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم"[3]، ومن فرائد القصص التي وجدها الباحث في بطون التفاسير ما ورد في امرأة أبي لهب "لما سمعت ما نزل في زوجها وفيها، أتت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، وفي يدها فهْر قطعة من الحجارة، فلما دنت من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ الله بصرها عنه فلم تر إلاّ أبا بكر، فقالت يا أبا بكر: بلغني أن صاحبك يهجوني، فو الله لو وجدته لضربت بهذا الحجر فاه، ثم أنشدت تقول: (مُذمَّمًا عصينا وأمره أبينا ودينه قليْنا ...) ثم انصرفت، فقال أبو بكر يا رسول الله: أما تراها رأتك؟ قال: ما رأتني لقد أخذ الله بصرها عني، وكانت قريش يسبون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون: مذمماً بدل (محمداً) وكان يقول صلوات الله عليه: ألا تعجبون كيف صرف الله عني أذى قريش؟ يسبون ويهجون مذمماً وأنا محمد!؟"[4].

---

(1) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣/ ٥٩١

(2) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢، ١٩٩٩م، دار طيبة، الرياض- السعودية، ٥١٥/٨

(3) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مرجع سابق، ٤/ ٨١٥

(4) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣/ ٥٩٢

فعندما رد الله تعالى على أبي لهب وامرأته وتوعدهما بعذاب أليم، واسى بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وصبّره، وانتصر له، وهذا الموقف أيضاً يمكن أن يخرج من حيزه الفردي المخصوص بأبي لهب وامرأته، ليشمل كل مَن انطبق عليه صفاتهم أو أفعالهم أو جزء منها، كما أن هذا الخطاب قد يخرج من حيزه الفردي المخصوص بالنبي الكريم، ليشمل كل مؤمن أو مسلم يتعرض لأذى الكفار، سواء كان هذا الأذى بالكلام (تباً.)، أو بالأفعال (ما كانت تقوم به امرأة أبو لهب..).

وفي جزء عمَّ ورد خطاب مواساة مخصوص بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وجاء هذا الخطاب مسبوقاً ببشرى سارة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر، ١]، "قال أبو حيان: وذكر في الكوثر ستة وعشرون قولاً، والصحيحُ هو ما فسره به رسول الله صل الله عليه وسلم فقال: «هو نهرٌ في الجنة حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربتُه أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل» وعن ابن عباس: الكوثرُ: الخير الكثير.

وبطبيعة الحال إن هذه البشرى قد بعثت في نفوس المسلمين جميعاً فرح وسرور وابتهاج لفضل الله تعالى ومنته عليهم، خصوصاً أن الكل كان حزيناً لما يُقال عن الرسول الكريم من الكفار وعلى رأسهم العاص بن وائل، فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر، ٣]؛ "أي إن مبغضك يا محمد هو المنقطع عن كل خير، قال المفسرون: لما مات «القاسم» ابن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال العاص بن وائل: دعوه فإنه رجلٌ أبتر لا عقب له أي؛ لا نسله له فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله تعالى هذه السورة، وأخبر تعالى أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد؛ لأنه مبتور من رحمة الله أي مقطوع عنها، ولأنه لا يُذكر إلا ذكر باللعنة، بخلاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر، مرفوع على المآذن والمنابر، مقرون بذكر الله تعالى، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كالوالد لهم صلوات الله وسلامه عليه وهذا الخطاب كالخطابات السابقة فيه مواساة وتصبير وانتصار واستنهاض لهمم المسلمين، ورفع معنوياتهم في مواجهة الكفار وتحديات الدعوة الإسلامية عموماً.

قال الزمخشري في هذه الآيات الكريمة: "فإن قلت: أين جواب القسم؟ قلت: محذوف يدل عليه قوله: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء [السماء ذات البروج، اليوم الموعود، شاهد ومشهود] أنهم ملعونون، يعنى كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود، وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة، وتذكيرهم بما جرى على من تقدّمهم: من التعذيب على الإيمان. وإلحاق أنواع الأذى، وصبرهم وثباتهم، حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار، ملعونون أحقاء بأن يقال فيهم: قتلت قريش، كما قيل: قتل أصحاب الأخدود وقتل: دعاء عليهم، كقوله: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾، وقرئ: قتل، بالتشديد"[1].

([1]) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مرجع سابق، ٤/ ٧٣٠

المبحث الثالث: استراتيجيات الخطاب القصصي في سور جزء عمَّ ووظائفه

إن الخطاب القرآني مُوجَّهٌ بشكل مباشر للإنسان؛ عقلًا ونفسًا ووجدانًا وعاطفةً، يقول عبد الله دراز: "وفي النفس الإنسانية قوتان: قوة تفكير، وقوة وجدان، وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها، فأما إحداهما فتنقب عن الحق لمعرفته وعن الخير للعمل به، أما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطير إلى نفسك بهاذين الجناحين، فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معًا"[1].

وتوجَّه أيضًا إلى الإنسان في مستوياته جميعها: عالم أو جاهل، ذكي أو غبي... "فلو أنك خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف الذي تخاطب به الأغبياء لنزلت بهم إلى مستوى لا يرضونه لأنفسهم في الخطاب، ولو أنك خاطبت العامة باللمحة والإشارة التي تخاطب بها الأذكياء لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم، فلا غنى لك -إن أردت أن تعطي كلتا الطائفتين حظهما كاملاً من بيانك- أن تخاطب كل واحدة منهما بغير ما تخاطب به الأخرى؛ كما تخاطب الأطفال بغير ما تخاطب الرجال، فأما أن جملة واحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء والأذكياء والأغبياء، وإلى السوقة والملوك فيراها كل منهم مقدرة على مقياس عقله وعلى وفق حاجته فذلك ما لا تجده على أتمه إلا في القرآن الكريم، فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم لا يلتوي على أفهامهم، ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة، فهو متعة العامة والخاصة على السواء، ميسر لكل من أراد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر، ١٧][2].

فالقرآن الكريم ليس مادةً لنصوصٍ مجموعةٍ محفوظةٍ، وإنّما "جمعُ آياتٍ التحمتْ عبر لحظات متدافعة في مواقع متجددة وبأغراض توجيهية معلومة سواء كان هذا التوجيه بالإعمال أو الإبطال، بالدعم والتثبيت أو بالتقويم والتصويب، وإذا ما انقضت المناسبات والملابسات بقيت هذه الآيات لا بمثابة الذكرى التي تسجل واقعة انقضت، وليست كمحفظة تاريخية أو بيان توثيقي، وإنما بقيت هذه الآيات تحتفظ بكامل فعاليتها التوجيهية النافذة عبر الزمان والمكان بالنسبة لكل موقف إنساني اجتماعيًا أو تاريخيًا، يحتوي على عناصر الموقف الأساسي الذي كان سببًا في النزول؛ ولأن المواقف التي تتخلل حياة الأفراد والجماعات والأمم لا تخلو من عناصر تلازمها ملازمة الفطرة للإنسان، فلا عجب أن ظل البيان القرآني ينبض حيوية وتفعيلاً بوصفه تنزيلاً من لدن عليم خبير، خالق الإنسان معلمه البيان، مدبر ومهيئ الأسباب"[3].

فالإنسان الذي يريدُ الرجوع إلى القرآن الكريم يرجع إليه من قبيل التدبّر في آياته، وليس من قبيل الرجوع إليه بصفة المراجعة للنصوص؛ لأنّ الآيات تأخذ صفة الحياة، خلافًا للنصوص الأخرى التي تتسم بالجمود؛ فهي موضع للنظر العقلي المجرد الذي يستوعبه البصر، أمّا الآيات القرآنية فتحمل من البصائر التي تستهدف به البصيرة. فالنصوص مجردة بخلاف الآيات، لذلك وجبَ التعامل مع القرآن الكريم باعتباره آيات وبصائر وعلامات، وليس نصوصًا، وإن كانت الآيات مجموعة في كتاب.

---

(١) دراز، عبد الله، النبأ العظيم، ط٦، ١٩٨٤م، دار القلم، الكويت، ص١١٣ -١١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١١٣

(٣) أبو الفضل، منى عبد المنعم، نحو منهاجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات والمقومات، ط١، ١٩٩٦م، مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ص٢١-٢٢.

لقد أنزل القرآن الكريم وفقَ نظامٍ متسق مرتل متماسك كالبنيان، "ولما كان الأصل في نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب أو ما يجري مجرى الحشو والاعتراض، أو ما يقال فيه إنه تغوث واستراحة كما تجد من كل ذلك في أساليب البلغاء، بل نزلت كلماته منازلها على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة، وما قد يشبه أن يكون من هذا النحو الذي تمكنت به مفردات النظام الشمسي وارتبطت به سائر أجزاء المخلوقات صفة متقابلة بحيث لو نزعت كلمة منه أو أزيلت عن وجهها، ثم أدير لسان العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها، لم يتهيأ ذلك ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة"[1]، فإنّ كلَّ حرف أو كلمة في القرآن الكريم وضعت لتأدية غرض ما في ترابط متين دون زيادةٍ أو نقصان.

ويمكن القولُ إن هذه المعاني تتسق في السورة كما تتسق الحجرات في البنيان، بل إنّها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان: فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب؛ ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضا خاصا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية

ومن صور قوة القرآن الكريم، أنّ اللهَ تعالى أنزلُ بلسان عربي مبين، مخاطبًا الإنسان بأن يقرأه ويفقهه، ولفهم الخطاب القرآني وفقهه وجب فهم لسانه وفقهه، فكانت اللغة العربية هي المدخل الأساسي لفهم الخطاب القرآني، فظن البعض أنّ القرآن خاص بالعرب دون غيرهم، لأنّه نزل بلغتهم، ونسوا بأن القرآن الكريم قد تعدّى لغة العرب، يقول مصطفى الرافعي: "ولقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة، فإن أحدا من البلغاء لا تمتنع عليه فصح هذه العربية متى أرادها، وهي بعد في الدواوين والكتب، ولكن لا تقع له مثل ألفاظ القرآن في كلامه، وإن اتفقت له نفس هذه الألفاظ بحروفها ومعانيها؛ لأنها في القرآن تظهر في تركيب ممتنع فترف به، ولهذا ترتفع إلى أنواع أسمى من الدلالة اللغوية أو البيانية التي هي طبيعية فيها، فتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم وتكون بتركيبها المعجز طبقة عقلية في اللغة

نزل القرآن الكريم بهذه اللغة للإعجاز، فكان "أشبه شيء بالنور في جملة نسقه، إذ النور جملة واحدة وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه وفي أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض. وإنما كان ذلك لأنه صفى اللغة من أكدارها، وأجراها على بواطن أسرارها. فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحول التراكيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهرا لا يقضي العجب منه، لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أو صوت الخلود، لأنها هي لغتهم التي يعرفونها"[2].

---

(١) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط١، ١٩٩٠م، . دار الكتاب العربي، بيروت ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٤.

ومن صور قوة الخطاب القرآني (اللغة والألفاظ)؛ حيثُ ينظر إلى الألفاظ على أنّها أبنية صوتية مادتها الحروف وصورتها الحركات والسكنات، ومن حيث هي ألفاظ ذات معان ودلالات، وينبغي التركيز هنا على الحيثيّة الثانية؛ لأنّ الألفاظ تكتسب أهميتها في تصويرها للمعاني والدلالات ونقلها من المتكلم إلى المخاطب، وليس من حيث أجراسها وأنغامها. يقول الراغب الأصفهاني: "أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعا في علوم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم. وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة"[1].

ويبيّن أحمد عبادي الفرق الواضح بين الخطاب القرآني وألفاظه وبين الخطاب البشري بقوله: "إن الاستخدام الإلهي للمفردة اللغوية يرتقي بدلالاتها إلى مستوى المصطلح المحكم الدقيق، خلافًا للكسب البلاغي البشري عامة. إن الفرق بين كلام الله وكلام البشر أكبر من الفرق بين الإنسان والتماثيل الطينية. فكما أن إرادة الله ومشيئته حين توجهتا إلى الطين صيرتاه إنسانًا ناطقًا مريدًا فاعلاً، فكذلك حين توجهتا إلى الطين صيرتاه قرآناً مرتلاً منيراً هاديًا. إن استخدام القرآن للمفردة اللغوية يعطيها الطابع المرجعي الذي يحكم دلالاتها حيثما وجدت في القرآن، فإذا تم التعرف على دلالة مفردة لغوية قرآنية بالآليات المنهجية المناسبة... فإنه يتم الانفصال بالدلالة الحاكمة التي تفهم اللفظة بحسبها في القرآن كله"[2].

وهذه المقدمة لا بد منها قبل الولوج إلى دراسة استراتيجيات الخطاب القصصي في جزء عمَّ؛ لأن كل استراتيجية كانت وفق أسلوب معين وسياق معين ولغاية معينة، وهذا التعيين متلاحم ومترابط مع غيره، وهو ما يميز الخطاب القرآني ومدى انسجامه وتناسقه وتأثيره.

إن الباحث حين تقصى وجمع الخطاب القصصي في جزء عمَّ لاحظ أن الخطاب بأكمله كان مرتكزاً على الاستراتيجية التوجيهية والمقصود بها: "الخطاب الموجه إلى المخاطَب بعدد من أساليب اللغة مثل الأمر والنهي والنداء والحضّ، وبمضامين معينة مثل النصح والتوجيه والإرشاد والتذكير والدعاء وغير ذلك من المضامين التي يُتَحَصل منها التوجيه في النهاية"[3]، وعينة الدراسة جميعها تحتوي على هذه الأساليب وتنهض وفق هذه الاستراتيجية تحديداً، فمثلاً الخطاب القصصي الذي سَرَدَ جزءاً من قصة فرعون وموسى في سورة النازعات بدأ من لحظة إرسال الله تعالى موسى عليه السلام إلى فرعون، قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات، ١٧]

(١) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، ١٩٩٢م، دار المعرفة، بيروت، ص ١٠.

(٢) عبادي، أحمد، مفهوم الترتيل في القرآن الكريم النظرية والمنهج، رسالة دكتوراه، ٢٠٠٢م، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، ص ٨٢.

(٣) استيتية، سمير شريف، الخطاب في الدراسات اللسانية الحديثة، الموسم الثقافي الواحد والثلاثون لمجمع اللغة العربية الأردني، ٢٠١٣م، الأردن، ص١٣٣

وهذا الخطاب احتوى على توجيه بوصلة النبي موسى نحو فرعون دون غيره وذلك نتيجة طغيانه وعلوه في الأرض وادعائه الألوهية، وفق أسلوب الأمر القاطع (اذهب)، واحتوى هذا الخطاب أيضاً على توجيه فرعون إلى سبل النجاة وطريق الهداية الصحيح عبر خشية الله تعالى وطاعته، قال تعالى: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾[النازعات، ١٨- ١٩]، فالتوجيه الإلهي كان متسلسلاً بدأ بنبيه موسى حين اختاره لحمل رسالته الإلهية، وصولاً إلى فرعون ودعوته وتوجيهه إلى تزكية نفسه من كل ما دنسها.

وظهرت الاستراتيجية التوجيهية في قصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع أبو جهل، حين قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩﴾ [العلق، ١٩]، فالله جل جلاله يوجه نبيه إلى السجود والإقبال والاقتراب منه عبر إقامة جميع العبادات الموكلة إليه من خلال بث الطمأنينة في نفس نبيه وتأكيد حمايته من أي أذى قد يلحق به من أبي جهل، وكل ذلك وفق أسلوب الأمر أيضاً.

وفي قصة نبي الله صالح عليه السلام مع قومه ظهرت الاستراتيجية التوجيهية بشكل مختلف عما سبق من الأمثلة، قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾ [الشمس، ١٣]، فالتوجيه هنا كان من النبي إلى قومه حين ذكرهم ونصحهم وأرشدهم إلى الأمر الإلهي المتعلق بهذه الناقة، فالخطاب التوجيهي كان من الداخل؛ أي متعلق بهذه الحادثة تحديداً.

وجميع القصص القرآني في جزء عمَّ تحمل التوجيه إما من الداخل؛ مثل التوجيه المباشر للنبي موسى أو محمد عليهما السلام من الله تعالى، أو توجيه داخلي محدد بقصة صالح عليه السلام مع قومه، وإما توجيه خارجي يخرج من النص ليشمل الكم الجمعي من متلقيه مثل التوجيه إلى ضرورة الاتعاظ مما حدث للأقوام الغابرة كي لا يتكرر ما حدث لهم مرة أخرى.

وهذا السياق يأخذ البحث للحديث عن استراتيجية أخرى برزت في الخطاب القصصي في جزء عمَّ، وهي استراتيجية الإقناع، التي "تقوم على مخاطبة عقل المتلقي لإقناعه بسلامة المنطق الذي يستخدمه الخطاب، والإقناع لا يكون فقط بحمل المتلقي على التصديق بأفكار الخطاب ومبادئه، والتوجيه الذي يسير عليه صاحب الخطاب، والطرق التي اتبعها في تبني ما يعتقده ويؤمن به، إنه إلى جانب ذلك حمل القارئ (الحمل لا يعني الإكراه) على التصديق بسلامة الطريقة التي يتبعها في عرض أي موضوع ومناقشته، هو كذلك القدرة على اختيار الكلمات المناسبة للموضوع، والإسهاب في الموطن الذي يحتاج إلى إسهاب، والإيجاز في الموطن الذي لا يحتاج إلا إلى الإيجاز"[1]، والإقناع هو "عملية خطابية يتوخى بها الخطيب تسخير المخاطب لفعل أو ترك بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره كلّ منهم -أو يعتبره الخطيب- شرطاً كافياً ومقبولاً للفعل أو الترك"[2]، ومن هنا تتداخل استراتيجية الإقناع مع استراتيجية التوجيه.

(١) استيتية، سمير شريف، الخطاب في الدراسات اللسانية الحديثة، مرجع سابق، ص١٣٣-١٣٤

(٢) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، مرجع سابق، ص٤٥١

ومثال ذلك في جزء عمَّ توجيه الله تعالى لنبيه موسى أن يُري فرعون معجزته، قال تعالى: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات، ٢٠] والآية الكبرى هي "قلب العصا حية لأنها كانت المقدمة والأصل، والأخرى كالتبع لها؛ لأنه كان يتقيها بيده، فقيل له: أدخل يدك في جيبك. أو أرادهما جميعاً، إلا أنه جعلهما واحدة؛ لأن الثانية كأنها من جملة الأولى لكونها تابعة لها"[(١)]، والهدف من ذلك إقناع فرعون وقومه بأن موسى عليه السلام رسول مرسل من عند الله تعالى، واختيار هذه المعجزات (العصا، واليد) دون غيرها لأنه في زمن موسى كان السحر منتشراً شائعاً، فأرسله الله عز وجل بشيء يغلب به السحرة الذين تصدوا لموسى عليه السلام[(٢)]، ولكن هذه المعجزة لم تقنع فرعون ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ [النازعات، ٢١]، ونتيجة تكذيب فرعون للنبي موسى، وعصيانه لله تعالى قام بأفعاله الشنيعة، دون خجل أو رادع، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات، ٢٢- ٢٤]، ومن هنا ارتبطت وظيفة الإقناع في الآيات الكريمة إلى ما هو أشمل منها، خرجت للحجاج، والحجاج مجموعة من الاستراتيجيات الخطابية التي يتوجه بها المحاجج إلى متلقٍ ما، بغية إقناعه والتأثير فيه، واستمالته إلى الأطروحة التي تُلقى عليه[(٣)]، والمخاطَب وفق الرؤية الحجاجية هنا هو متلقي قصة فرعون وموسى، وغاية هذا الخطاب الحجاجي تقديم الأفعال والأسباب التي أهلكت فرعون وكل مَن معه.

كما أن الآيات الكريمة ألمحت لجانب حواري[(٤)] بشكل غير مباشر بين فرعون وموسى، وبين فرعون والناس حين ادعى الألوهية، وهذا الحوار أبرز حجاجية الخطاب التي يتحدث عنها البحث "فمن المنطقي أن يتكئ النص (الحجاجي) بشكل واضح على مبدأ (الحوار) أو (التحاور) بين طرفي التخاطب، وهو ما يضمن حضور الخصم أو حججه في النص، سواء أكان ذلك الحضور إمكاناً قائماً أو استنباطاً مفترضاً تدل عليه المعطيات المطروحة"[(٥)]، فالله تعالى أرسل موسى بأدلة وبراهين مقنعة لم يقتنع بها فرعون ومَن معه، وكان نتيجة عصيان فرعون وتكذيبه لموسى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات، ٢٥- ٢٦]، فكان فرعون عبرة في زمانه، وعبرة لكل الذين من بعده، وتحديد الآيات أن في قصة فرعون وموسى ﴿لَعِبْرَةً﴾ هي التي دفعت البحث إلى القول بحجاجية الخطاب بغية توجيه المتلقي إلى الابتعاد عن ممارسات فرعون وأعوانه وأتباعه، والاتعاظ مما أصابهم.

---

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مرجع سابق، ٤/ ٦٩٥-٦٩٦

(٢) انظر: العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم: جزء عمَّ، مرجع سابق، ص ٤٧

(٣) انظر: صبحي، أميمة، حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، ط١، ٢٠١٥م، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ص٢٧

(٤) جميع القصص عينة الدراسة لم يحضر فيها الحوار بشكل مباشر، ولا حتى بالتلميح إلا في المثال الذي يُدرس الآن، وفي قصة تساؤل قريش عن يوم القيامة؛ والسبب في ذلك أن الخطاب جاء من جانب الله تعالى فقط تجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تحديدًا، ولم يكن هنالك رد من الذين خاطبهم مثل حوار جل جلاله مع موسى عليه السلام، أو مثل الحوار بين يوسف عليه السلام وإخوته، أو مثل حوار زكريا أو مريم أو إبراهيم عليهم السلام، وغيرها من الأمثلة في قصص القرآن الكريم.

(٥) عيد، محمد عبد الباسط، في حجاج النص الشعري، ط١، ٢٠١٣م، أفريقيا الشرق، المغرب، ص٤٣

وحضر الحوار بشكل إلماحي رافقه الحجاج والإقناع على حد سواء، وذلك في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ، ١]، قال القرطبي في تفسير هذه الآية أنه "رَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتْ قُرَيْشٌ تَجْلِسُ لَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ فَتَتَحَدَّثُ فِيمَا بَيْنَهَا فَمِنْهُمُ الْمُصَدِّقُ وَمِنْهُمُ الْمُكَذِّبُ بِهِ فَنَزَلَتْ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ؟ وَقِيلَ: عَمَّ بِمَعْنَى: فِيمَ يَتَشَدَّدُ الْمُشْرِكُونَ وَيَخْتَصِمُونَ"[1]، ولكن هذا التفسير هدمه ما جاء في الآيات اللاحقة، قال تعالى: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾ [النبأ، ٢- ٣] ورأى الصابوني أنه في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أنه "ليس المراد هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر وتعظيمه، وقد كان المشركون يتساءلون عن البعث فيما بينهم، ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاءً فجاء اللفظ بصيغة الاستفهام للتفخيم والتهويل وتعجيب السامعين من أمر المشركين والحوار الإلماحي حضر عبر الإشارة إلى حضوره بين المشركين دون تفصيل أو تحديد حوار معين بين أشخاص معينين، وفي ذلك تعميم، ومن ثم انتقل الخطاب إلى الحجاج الإقناعي في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ [النبأ، ٤- ٥]، في الآية الأولى "ردعٌ وزجر أي ليرتدعْ أولئك المكذبون عن التساؤل عن البعث، فسيعلمون حقيقة الحال، حيث يرون البعث أمراً واقعاً، ويرون عاقبة استهزائهم"[2]، وفي الآية الثانية "حَقًّا لَيَعْلَمُنَّ صِدْقَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْقُرْآنِ وَمِمَّا ذَكَرَهُ لَهُمْ مِنَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ"[3]، وهذا التوكيد والتحدي المصحوب بالزجر والردع الإلهي جاء نتيجة الحوار الإلماحي في النص القصصي القرآني بين كفار قريش، لتليه بعد ذلك آيات حجاجية إقناعية تبين قدرة الله تعالى وحكمته في خلق الكون والإنسان، وآيات الوعيد للمكذبين بحقيقة يوم القيامة وأهواله، وآيات النعيم للمصدقين والمؤمنين.

ومن أشكال توظيف الحجاج ضمن الخطاب القصصي القرآني في جزء عمَّ، حين اجتمع النفي مع الاستفهام في أكثر من موضع، وهو ما "يفيد الحجاج بالقصد التلميحي، فكل قول منفي هو حجة لإثبات ما يريد المرسل إيصاله للطرف الآخر، وتأتي حجاجية النفي من كونه يثبت الحكم الذي يقرره المرسل مما لا يجعل للمتلقي مجالاً للشك في الحكم المقرر سابقاً"[4]، وهذا القول ينطبق على الاستفهام أيضاً، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾ [الفيل، ١].

وظهر في الخطاب القصصي في جزء عمَّ الاستراتيجية النزوعيّة، والمقصود بها أن "أهم هدف للخطاب هو أن صاحبه ينزع إلى المتلقي، وإنما يؤدي الخطاب هذه الوظائف أداءً صحيحاً إذا استطاع أن يصل المرسل بالمتلقي، فيكون تركيز الخطاب موجهاً إليه في المقام الأول؛ وذلك بإحداث تأثير من نوع ما على المتلقي، ويمثل هذه الوظائف خير تمثيل أبواب متعددة في النحو والبلاغة العربيين، منها: النداء، والإغراء، والتحذير، والأغراض البلاغية، وما تؤديه هذه الأبواب من تطبيقات في السياقات والمقامات المختلفة"[5].

---

(١) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ١٩/ ١٧٠

(٢) المرجع السابق، ٣/ ٤٨٣

(٣) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ١٩/ ١٧٠

(٤) حناوي، نور الهدى، تقنيات الحجاج عند الجاحظ: كتاب العثمانية أنموذجاً، مجلة التراث العربي، مج ٣٢، ع ١٢-١٣٣، ٢٠١٤م، سوريا، ص٩٨

(٥) استيتية، سمير شريف، الخطاب في الدراسات اللسانية الحديثة، مرجع سابق، ص١١٤

ومثال ذلك في جزء عمَّ قصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم رضي الله عنه الوارد ذكرها في سورة عبس، وتحديداً حين عاتب الله تعالى نبيه الكريم، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس، ١- ١٠]، ونزوعية الخطاب بدأت حين التفت الخطاب من الغائب إلى خطاب الحاضر بشكل مباشر؛ وفي ذلك دلالة على غياب النبي أو عدم حضوره للرد على تساؤلات الصحابي ابن أم مكتوم، وتوجيه الخطاب للنبي بشكل مباشر وصريح في الآيات اللاحقة أدى لظهور أبرز نتائج الوظيفة النزوعية وهي التنبيه والتوجيه والتحذير، وكل ذلك من شأنه أن ينزع بالنبي الكريم إلى التركيز والتمعن والتأمل ومراجعة نفسه وموقفه تجاه ابن أم مكتوم، وعدم تكرار مثل هذه الحادثة مرة أخرى تحت أي ظرف، فتركيز الخطاب بعمومه كان صوب النبي وما بدر منه وكيفية تصحيحه، وكل ذلك عبر نزوعية الخطاب واتصاله بمتلقيه بشكل مباشر.

ويرى الباحث في الخطاب السابق، وجوب التركيز على السياق (contexte) كي يُفهم مقصده وأغراضه وتوجيهاته، ويمكن تعريف السياق بأنه: لكل خطاب مُرسَل مرجع يحيل عليه، وسياق معين مضبوط قيل فيه، ولا تفهم مكونات هذا الخطاب، أو تفكك رموزه القواعدية إلا بالإحالة على الملابسات التي أنجز فيها، قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب، ولهذا ألح جاكبسون على السياق باعتباره العامل المفعَّل للرسالة بما يمدها به من ظروف وملابسات توضيحية، ويصطلح عليه أيضاً بالمرجع (referant)[1]، وعند الربط بين سياق قصة النبي محمد عليه السلام وموقفه مع ابن أم مكتوم يُفهم مُراد الخطاب النزوعي في الآيات السابقة ومقصديته.

---

(١) انظر: بومزبر، الطاهر، التواصل اللساني والشعرية: مقاربة تحليلية لمقاربة رومان جاكبسون، ط١، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ص٣٠

الفصل الثالث: التشكيل الفني وجمالياته في سور جزء عمَّ

المبحث الأول: الحدث وتشكيله

ورد في المعاجم أن الحدث: مِن الحدوثِ، وهو الوقوعُ والتجدُّدُ، وكونُ الشَّيءِ بعد أنْ لم يكُنْ، ويأتي بمعنى الأمرِ الحادِثِ المنكَرِ الذي ليس بمعتادٍ ولا معروفٍ، ومنه مُحدَثاتُ الأمورِ[١].

أما من ناحية اصطلاحية، ارتبط الحدث بالسرد ارتباطاً وثيقاً؛ فمن المحال أن يقوم السرد بدون أحداث تثير حدة الصراع، وتزرع دواعي التأزم والعقدة فيه، ولا يمكن لها أن تكتسب قيمتها الفنية إلا ضمن نسيج قصصي كلي، وقد يأخذ الحدث مظاهر مختلفة، بغض النظر عن تعدد الشخصية أو انفرادها في النص السردي، فقد يتنوع الحدث ويصدر عن شخصية واحدة فقط، ولعل هذا يرجع إلى تباين رؤى الشخصية وتصوراتها، التي يرتضيها منجز النص السردي ليلوّن في طرائق بناء مسار الأحداث [٢].

إن الحدث مرتبطٌ بمحورين أساسيين، أحدهما: زمان حصول الفعل، أو السقف الزماني للحدث، والآخر: الأرضية المكانية التي لا يمكن للحدث أن يتحقق إلا على مهادها. والعنصران -أي المكان والزمان- لا ينفصلان عن الحدث بأي شكل من الأشكال[٣]، وهما بمثابة الإطار العام الذي تجري عليه وفيه الأحداث، وغالبًا يهتم القاص بهما، ويرسم ملامحهما ويقدمهما على الأحداث.

كما أن الحدث ذو أهمية كبرى في القصة، ويتمثل ذلك من خلال الحركة التي تعد المحرك الأساسي للفاعلية السردية التي تجعل الأحداث حية، والمواقف مثيرة ومنتجة، وفيها تبدو القصة مترابطة ومنسجمة بشكل حيوي ومتكامل، وتتسم بطاقة ونشاط وفاعلية، وتهدف إلى جعل الفكرة أشد وقعًا في النفوس[٤]، و "من دون وجود الحدث القصصي، بأي شكل من أشكاله وأي نمط من أنماطه الكثيرة والمعروفة، لا يمكن أن يقوم عماد القصة وينتهي إلى حالة فنية وجمالية وتعبيرية عالية... لا قصة يمكن أن يُكتب لها النجاح من دون حدث، وربما هي قضية لا جدال فيها في كل أبجديات نظريات السرد المعروفة، وربما في الكثير منها يمكن القول إن القصة تُعرف من حدثها، فهو هوية النص القصصي ومحوره وعماده المركزي، والمادة السردية الأكثر قربًا من حساسية القارئ في درجة تلقيه للقصة"[٥]، وقد ذهب بعض النقاد في تعريفهم للحكاية في السرد القصصي بأنها "مجموعة أحداث مرتبة ترتيبًا سببيًا، تنتهي إلى نتيجة طبيعية لهذه الأحداث التي يفترض أن تدور حول موضوع عام"[٦].

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ٢/ ١٣١، وانظر: الفيومي، المصباح المنير، مرجع سابق، ١/ ١٢٤

(٢) انظر: بشير، محمودي، البنية السردية في الرواية الجزائرية المعاصرة: البحث عن الوجه الآخر أنموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة وهران، ١٩٩٧م، الجزائر، ص ٣٠

(٣) انظر: حمادي، صبري مسلم، الفن السردي وعنصر الحدث: رؤية تنظيرية، مجلة الجوبة- مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، ع ٥١، ٢٠١٦م، السعودية، ص ١١٨

(٤) انظر: أبو سعد، أحمد، فن القصة، ط١، ١٩٥٩م، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ص ٩١

(٥) السامرائي، فليح مضحى، تقانات التعبير السردي الوصفي -تقانة وصف الحدث أنموذجاً: دراسة في ألف أقصوصة وأقصوصة لصبحي فحماوي، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية- مركز جيل البحث العلمي، ع ١٦، ٢٠١٦م، الجزائر، ص ١١٣- ١١٤

(٦) رحماني، أحمد، نظريات نقدية وتطبيقاتها، ط١، ٢٠٠٤م، مكتبة وهبة، القاهرة، ص١٨.

ويرتبط الحدث مع الشخصية -كذلك- في القصة مكونين معًا صلة وثيقة وركيزتين أساسيتين يمكن أن تميل كفة إحداهما لصالح الأخرى بما يخدم هدف القصة العام، فقد يرد الحدث في بعض القصص دون التطرق للشخصية؛ لخلق رهبة في النفس توصل الرسالة المراد إيصالها.

والأحداث في القرآن الكريم مصورة بإتقان بحيث تتبدى فيها أدق التفاصيل والانفعالات منسجمة مع الحركة الخارجية والجو العام، فلا هي إخبارية تركز على الشكل الخارجي فقط، ولا هي قصة تروى لتستجدي تعاطفاً داخليًا، إنها مزيج من هذا وذاك، لا تنفصل فيه المواقف والأحداث عن الانفعالات الداخلية، في تلاحم يندر تحقيقه في أي سرد أدبي، والأحداث في القص القرآني تسير وفقًا للتدبير الرباني نحو غاية معينة، فلا غرابة أن تتدخل العناية الإلهية أو العامل الغيب، في تسيير الكثير من أمورها، وعادة ما يصحب هذا العامل الغيبي عنصر المفاجأة، كحدوث معجزة خارقة[1]، وقد يأتي الحدث تعبيراً عن مشاعر وانفعالات تعتري شخصيات القصة القرآنية، وقد تكون من ترتيبات القدرة الإلهية.

والحدث في قصص جزء عمَّ يمكن أن يُدرس حسب التفريع الآتي:

أولاً: الحدث الخارجي:

وهو الإطار أو الظرف العام الذي يحيط بالحدث[2] من خارج القصة المسرودة؛ وتكمن أهميته في تحقيق الغاية المرادة، أو الهدف الأساسي للقص، من موعظة وتذكير المتلقي للقصة بما جرى للأقوام السابقة من ظروف محيطة أدت لحدوث أحداث مهولة لهم، ومثال ذلك من قصص جزء عمَّ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر، آية: ٦- ١٤].

إن الله تعالى قدّم للمتلقي في الآيات سابقة مدى قوة قوم عاد وثمود وفرعون وكل مَن معه -سبق للبحث تفصيل القول في هذه القوة- بعد ذلك ذكر جل جلاله الحدث الخارجي الذي أدى إلى إنزال ألواناً شديدة من العذاب، وهذا الحدث هو إجرامهم وطغيانهم واستعمالهم تلك القوة في الفساد والطغيان في البلاد والأرض، ويرى الباحث أن عدم توسع الآيات في تقديم طبيعة تلك القوة والجبروت بأدق تفاصيلها ووصفها؛ كان لإفساح المجال أما الحدث الأهم في هذا الموضع وهو المرتبط بالتذكير والتنبيه إلى قوة الله تعالى وعذابه لهم.

فالإطار العام الخارجي هو الأحداث غير المذكورة هنا تحديدًا في هذه الآيات من دعوات الأنبياء لقوم عاد وثمود وفرعون وتفصيل القص في كيفية استخدام تلك القوة بالظلم، وبذلك إن الأحداث الخارجية أسهمت بتقديم الحدث الأهم المرتبط بعقاب الله لهم، والتذكير والتأكيد بأن الله تعالى يرصد ويراقب أي عمل أو حدث يقوم به الإنسان.

---

(١) انظر: أبو حسن، الصادق، العناصر القصصية في قصة سيدنا موسى في القرآن الكريم، رسالة ماجستير- كلية الدراسات العليا، جامعة النيلين، الخرطوم، ٢٠١٠م، ص ١٧.

(٢) انظر: حمادي، صبري مسلم، الفن السردي وعنصر الحدث: رؤية تنظيرية، مرجع سابق، ص ١١٦

ومن الأمثلة الواردة في قصص جزء عمَّ على الحدث الخارجي قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشمس، ١١] أي "بِطُغْيَانِهَا، وَهُوَ خُرُوجُهَا عَنِ الْحَدِّ فِي الْعِصْيَانِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِطَغْواها أَيْ بِعَذَابِهَا الَّذِي وُعِدَتْ بِهِ. قَالَ: وَكَانَ اسْمُ الْعَذَابِ الَّذِي جَاءَهَا الطَّغْوَى؛ لِأَنَّهُ طَغَى عَلَيْهِمْ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: بِطَغْواها بِأَجْمَعِهَا"[١]، فالحدث الخارجي هو تكذيب ثمود لنبي الله صالح عليه السلام، وطغيانهم في الأرض، وخروجهم عن الحد في المعصية، ومثل هذه الأحداث لم تفصّل القول فيها الآيات الكريمة، علمًا أنها مركزية في السرد القصصي؛ وسبب ذلك تركيز الخطاب الإلهي على حدث خارجي آخر متمثل بقوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس، ١٤] أي "أَهْلَكَهُمْ وَأَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ بِذَنْبِهِمُ الَّذِي هُوَ الْكُفْرُ وَالتَّكْذِيبُ وَالْعَقْرُ. وَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: دَمْدَمَ عَلَيْهِمْ قَالَ: دَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ، أَيْ بِجُرْمِهِمْ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: دَمْدَمَ أَيْ أَرْجَفَ. وَحَقِيقَةُ الدَّمْدَمَةِ تَضْعِيفُ الْعَذَابِ وَتَرْدِيدُهُ. وَيُقَالُ: دَمَمْتُ عَلَى الشَّيْءِ: أَيْ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِ، ودمم عليه القبر: أطبقه"[٢]، وهذا الحدث هو المركزي في القصة، وهو الذي تدور حوله كل أركان البناء الفني؛ فالخطاب بعمومه فيه تذكير بقوة الله وعدله وقدرته، وفيه مواساة للنبي الكريم وأصحابه، وفيه بعث للطاقات النفسية ورفع للمعنويات، وهو المحرك الأساس والسبب الرئيس في ذكر ما سبق من أحداث خارجية -أي سبب التكذيب، وسبب الهلاك- دون تفصيل القول في التكذيب أو طبيعة الهلاك.

وكل ما سبق ذكره من تحليل وتمثيل للحدث الخارجي ينطبق على قصة موسى عليه السلام مع فرعون في سورة النازعات؛ حين أعرضت الآيات عن تفصيل الأحداث التي قام بها فرعون مع موسى في تبيان كيفية رفضه لمعجزاته عليه السلام، واعتماد القص على الكم التراكمي السابق ذكره أو الأسلوب التقريري في القصة، وينطبق كذلك على قصة أصحاب الأخدود في سورة البروج؛ حين لم يُذكروا إلا بالدعاء عليهم ووعيدهم فقط دون تفصيل أو تصوير دقيق.

ثانيًا: الحدث الداخلي :

هو الذي يستند إليه بناء القصة من الداخل[٣]، فيكون مذكورًا في القصة من داخلها مثل أي ركن رئيسي من أركان القصة الأخرى، دون أي أهمية لأي أحداث خارجية أخرى غير المذكورة في بناء القصة الداخلي، ومثال ذلك في جزء عمَّ سورة قريش.

إن رصد الحدث الداخلي في سورة قريش يخرج بمجموعة أحداث رئيسية وكلها داخلية، وهي: حدث الإيلاف، وحدث الرحلة، وحدث العبادة، أما حدث الإطعام والأمان فهما حدثان خارجيان؛ فالله تعالى يقول: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش، ١] أي "أَهْلَكْتُ أَصْحَابَ الْفِيلِ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، أَيْ لِتَأْتَلِفَ، أَوْ لِتَتَّفِقَ قُرَيْشٌ، أَوْ لِكَيْ تَأْمَنَ قُرَيْشٌ فَتُؤَلِّفُ رِحْلَتَيْهَا"[٤]

(١) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ٢٠/ ٧٨

(٢) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ٢٠/ ٧٩

(٣) انظر: حمادي، صبري مسلم، الفن السردي وعنصر الحدث: رؤية تنظيرية، مرجع سابق، ص ١١٦

(٤) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ٢٠/ ٢٠٠

وهذا الحدث الداخلي المذكور في متن القصة القرآنية مهد لحدث داخلي آخر وهو رحلة الشتاء والصيف التي كانت تقوم بها قريش، قال تعالى: ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ [قريش، ٢] أي في رحلتي الشتاء والصيف، حيث كانوا يسافرون للتجارة، ويأتون بالأطعمة والثياب، ويربحون في الذهاب والإياب، وهم آمنون مطمئنون لا يتعرض لهم أحد بسوء؛ لأن الناس كانوا يقولون: هؤلاء جيرانُ بيت الله وسُكان حرمه، وهم أهل الله لأنهم ولاة الكعبة، فلا تؤذوهم ولا تظلموهم، ولما أهلك الله أصحاب الفيل، وردَّ كيدهم في نحورهم، ازداد وقع أهل مكة في القلوب، وازداد تعظيم الأمراء والملوك لهم، فازدادت تلك المنافع والمتاجر، فلذلك جاء الامتنان على قريش، وتذكيرهم بنعم الله ليوحدوه ويشكروه" [(١)]، وشكر الله تعالى والامتنان له لا يكون إلا من خلال الإيمان به وعبادته، وهذا ما أنتج الحدث الداخلي الثالث، قال تعالى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ [قريش، ٣]، "أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، لِأَجْلِ إِيلَافِهِمْ رِحْلَتَيْنِ. وَدَخَلَتِ الْفَاءُ لِأَجْلِ مَا فِي الْكَلَامِ مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: إِمَّا لَا فَلْيَعْبُدُوهُ لِإِيلَافِهِمْ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ لَا تُحْصَى، فَإِنْ لَمْ يَعْبُدُوهُ لِسَائِرِ نِعَمِهِ، فَلْيَعْبُدُوهُ لِشَأْنِ هَذِهِ الْوَاحِدَةِ، الَّتِي هِيَ نِعْمَةٌ ظَاهِرَةٌ. وَالْبَيْتُ: الْكَعْبَةُ. وَفِي تَعْرِيفِ نَفْسِهِ لَهُمْ بِأَنَّهُ رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا لِأَنَّهُ كَانَتْ لهم أوثان فميز نَفْسَهُ عَنْهَا. الثَّانِي: لِأَنَّهُمْ بِالْبَيْتِ شُرِّفُوا عَلَى سَائِرِ الْعَرَبِ، فَذَكَرَ لَهُمْ ذَلِكَ، تَذْكِيراً لِنِعْمَتِهِ"[(٢)].

وختم الله تعالى سورة قريش بعد سلسلة من الأحداث الداخلية، بحدث خارجي متمثل بالإطعام والأمان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش، ٤] أي "هذا الإله الذي أطعمهم بعد شدة جوع، وآمنهم بعد شدة خوف، فقد كانوا يسافرون آمنين لا يتعرض لهم أحد، ولا يُغير عليهم أحد لا في سفرهم ولا في حضورهم"[(٣)]، كما أنه جل جلاله أنقذهم من أصحاب الفيل.

وبطبيعة الحال حضر الحدث الداخلي في قصص عينة الدراسة جميعها من جزء عمَّ، لكن الحدث الداخلي اشترك فيها وارتبط بشكل وثيق مع الحدث الخارجي -عدا سورة قريش- بل إن بعض القصص انبنى فيها الحدث الداخلي على أساس ما أفرزه الحدث الخارجي مثل قصة النبي محمد صلوات الله عليه مع ابن أم مكتوم رضي الله عنه، فحدث عبوس النبي واعراضه عن الصحابي هو الذي أفرز جميع الأحداث التي أمر بها الله تعالى وعاتب بها نبيه، وتكرر ذلك في قصة موسى وفرعون في سورة النازعات، وقصة أصحاب الفيل بأكملها كانت نتيجة الحدث الخارجي الذي أصاب أصحاب الفيل.

فترتيب الحوادث وتقديم بعضها على بعض والوقوف على حدث معين منها أو المرور سريعًا على حدث آخر، كل هذا يتداخل مع المكان والزمان والشخصيات، فالتلازم وثيق بين الحدث وباقي الأركان الفنية في القصة القرآنية، وكل الأركان الفنية أدت وظائف جمالية إلى الجوانب الإعجازية والإخبارية والتوجيهية في البنية السردية القصصية بشكل عام، وهو ما وقف عنده البحث في مواضع سابقة بشكل مفصل عند كل موضع.

---

(١) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣/ ٥٨٠

(٢) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ٢٠/ ٢٠٨

(٣) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣/ ٥٨٠

ولا بد من الإشارة إلى أن الأحداث في سور جزء عمَّ تنوعت، فجاء بعضها أحداثًا تقريرية مباشرة، تُسرد مباشرة لأنها من لدن الذات الإلهية يُريد جل جلاله بها أن يُجسد رؤية مباشرة، قد تكون وعظية أو تهديدية أو زجرية، وربما تكون رؤية تحمل مكافئة.

وقد تكون أحداث تصويرية ترسم الأحداث وحال الشخصيات ومشاعرها ومواقفها وهواجسها، تدفع القارئ لمتابعة وتتبع الحدث حتى النهاية، للكشف عن طبيعة الشخصيات الحقيقية أو الغيبية، فجاءت الآيات على شكل صور متلاحقة ومثيرة، تجسد كل آية قصة قائمة بذاتها، تشكلت من حدث تصويري يجسد رؤية ببلاغة سردية وجمالية فنية.

وجاءت بعض الأحداث في قصص سور جزء عمَّ تتراوح بين الأحداث التقريرية والتصويرية، مازجة بينهما، في صور تقريرية سردية نثرية، وأخرى تصويرية فنية مستعينة ببعض عناصر السرد النثرية الفنية من مثل السرد الموجز والرمز والحذف وغيرها، كما ورد في سورة (التين)، وسور (المعوذات)، وسورة (الكوثر)، وسورة (الشرح)، وسورة (الضحى)، وغيرها من السور.

المبحث الثاني: الشخصية ورسمها

وجد الباحث في لسان العرب في مادة (شخص) أن "الشخص جماعة، شخص إنسان، وغيره، مذكر، والجمع أشخاص وشخوص وشخاص... والشخص سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد... ورجل شخيص إذا كان سيداً، وشخص الرجل بالضم فهو شخيص أي جسيم، وشخص بالفتح ارتفع"[١] وورد في المعجم الوسيط أن الشخصية "صفاتٌ تميز الشخص من غيره، ويقال: فلان ذو شخصيةٍ قويةٍ، ذو صفاتٍ متميزةٍ وإرادةٍ وكيان مستقل"[٢].

والمفهوم المعجمي للشخصية حين يتم مقارنته بالمفهوم الاصطلاحي أو الفني أو النقدي، يُلاحظ وجود فجوة بينهما؛ وسبب هذه الفجوة أن الشخصية معجمياً تم معالجتها وفق منظور إنساني حقيقي، أما اصطلاحيًا تم النظر إليها على أنها خيالية، وتزداد الفجوة أكثر حين يتم دراسة الشخصية قرآنيًا، وهذا ما سيوضحه البحث.

تعرف الشخصية القصصية بأنها: "كائن موهوب بصفات بشرية، وملتزم بأحداث بشرية، ممثل متسم بصفات بشرية، والشخصيات يمكن أن تكون مهمة أو أقل أهمية (وفقاً لأهمية النص)، فعالة (حين تخضع للتغيير)، مستقرة (حينما لا يكون هناك تناقض في صفاتها وأفعالها)، أو مضطربة وسطحية (بسيطة لها بعد واحد فحسب، وسمات قليلة، ويمكن التنبؤ بسلوكها)، أو عميقة (معقدة، لها أبعاد عديدة، قادرة على القيام بسلوك مفاجئ)، ويمكن تصنيفها وفقاً لأفعالها وأقوالها ومشاعرها ومظهرها...الخ"[٣]، وترى ليندا سيجر أن للشخصية تأثيرها ودورها فهي "التي تفجر القصة، وتعدد أبعادها، وتدفع القصة باتجاهات جديدة. ومع جميع خصائص الشخصية وصلابتها، فإن القصة تتغير، الشخصية هي التي تجعل القصة مفروضة"[٤].

فالشخصية في أي عمل قصصي، أو أدبي هي الركيزة الأساسية والهالة التي تدور حولها الأحداث، إذ تسير جنباً إلى جنب مع الفضاء المكاني والزماني[٥]، كما أن الشخصية هي المسؤولة بدرجة أكبر من بقية المكونات الأخرى عن طريق عرض الأفكار والتحكم بخط سير الأحداث أو مواجهتها[٦]، فتعد الشخصية العمود الفقري في القصة والشريان الذي ينبض به قلبها؛ لأن الشخصية تصطنع اللغة وتثبت الحوار وتلامس الخلجات، وتقوم بالأحداث ونموها وتصف ما نشاهد أو بعبارة أخرى "هي العنصر الأدبي الذي يطفر في العمل السردي ضمن عطاءات اللغة التي يغذوها الخيال للنهوض بالحدث، وللتكفل بالصراع داخل هذه اللعبة السردية العجيبة"[٧].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ٧/ مادة شخص.

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، ط٣، د. ت، دار عمران للنشر والتوزيع، القاهرة، ١/ ٤٩٢

(٣) الخطيب، عماد علي سليم أحمد، دلالة أسماء الشخصيات في الرواية الأردنية: دراسة سيميائية في نماذج مختارة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع٢٥، ٢٠١١م، فلسطين، ص١٢٨

(٤) سيجر ليندا، القواعد العلمية والفنية لكتابة النصوص الدرامية السينمائية والتلفزيونية والمسرحية، ترجمة أديب خضور، العدد ٣٤، ٢٠٠٨م، سلسلة المكتبة الإعلامية، ص٩٥

(٥) انظر: كشلاف، مولود بشير محمد، شخصية البطل في رواية نافذة على المطل الخلفي للكاتب محمد علي سالم عجينة، مجلة كلية التربية (جامعة الأزهر)، ع١٥٥، ج٢، ٢٠١٣م، مصر، ص١٦٤

(٦) انظر: حمدان، عبد الرحيم حمدان، بناء الشخصية الرئيسية في رواية (عمر يظهر في القدس) للروائي نجيب الكيلاني، أعمال المؤتمر العلمي الخامس بعنوان: القدس تاريخاً وثقافة- كلية الآداب- الجامعة الإسلامية بغزة ٢٠١١م، فلسطين، ص١١٣

(٧) مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، ط١، ١٩٩٨م، سلسلة عالم المعرفة- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ص٨٥

إن الاهتمام بالشخصية في العمل الأدبي وإعطائها الأبعاد الفنية الكفيلة بكشف عالمها وتناقضاتها ونوازعها، وأشواقها وآمالها، وأفراحها وأحزانها، غدا من أهم الواجبات التي ينبغي للناقد الحديث أن يلتفت إليها، وعلى القاص الحديث أن يتقن كيفية توظيفها، ولم تعد القصة مجرد تسجيلاً مباشرًا للأحداث، وهذه المكانة دفعت النقاد إلى محاولة إيجاد تصنيف علمي لأنماط الشخصيات داخل الأعمال الأدبية [١]، والبحث في دلالات أسمائها، وتصرفاتها، وأشكالها، وألفاظها ونوعية لغتها وخطاباتها.

أما الشخصية في القصص القرآني لها خصوصيتها في حقيقة وجودها، وصدق رسمها، ودقة تصويرها، وحقيقة كل ما صدر عنها، أو حقيقة ما حدث لها، كما أن الشخصيات في القرآن الكريم لها أهمية بارزة؛ لأنها تشكل المحور الأول في القصص القرآني، وترتكز عليها معظم الأحداث، ولاحظ الباحث أن القصص القرآني غلب عليه حضور الشخصيات على الأحداث، والأمكنة، والأزمنة؛ فيكون الشخص هو المحرك الأساس للقصة.

كما أن القصص القرآني امتاز بواقعيته في اختيار الشخصيات، حيث يكثر الحديث عن الأنبياء المعروفين، ويكونون هم محور هذه القصص، وذلك يتضح من خلال قصص سيدنا موسى ومحمد وصالح وهود عليهم السلام في جزء عمَّ تحديدًا، ومن خلال هذه الشخصيات وما دار حولهم من أحداث، وتفاعل من حولهم – من شخصيات أسهمت في إيصال الفكرة الرئيسة، كان التركيز على رسم البعد النفسي للشخصية من الأهمية بمكان في سياق القصة؛ " لأن هذا البعد هو حقيقة الإنسان وجوهره وسره المكنون، ومكمن طاقاته وقدراته ومنطلق سلوكه وخوضه لغمار الحياة ومعترك الأحداث " [٢].

إن واقعية الشخصيات في القصة القرآنية، إحدى أهم الميزات التي تعتري شخصيات القرآن الكريم، وهي واضحة في شخصية النبي- محمد عليه الصلاة والسلام- في جزء عمَّ، فهو كان أداة التأثير البارزة في القصص جميعها، فعلى الرغم من أن الأنبياء نماذج مثالية في عصمتها، رفيعة في بشريتها، إلاّ أنَّ وسيلة القصص القرآني كانت واقعية في عرضها لهذه النماذج، بمعنى دقة تصويرها لجانبي شخصية النبي، وهما: الجانب النبوي المتمثل في عصمة الله له، وتأييده بالمعجزات، والجانب البشري المتمثل في مجال التميز والرفعة في تطبيق هذا الدين في واقع حياة النبي، والمجال الاعتيادي فيما يتعرض له الإنسان من عواطف وانفعالات[٣]، وسبق أن أشار البحث إلى موقفه مع ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وقصته مع أبي لهب وأبي جهل، وتذكيره بما حدث لأصحاب الفيل وعاد وثمود وفرعون، ووعده بالكوثر... إلخ.

ومن خلال السور الكثيرة التي تطرقت للشخوص في القصص القرآني، لاحظ الباحث أنهم ينقسمون إلى أحد أمرين، أحدهما: القدوة والمثال، وإبراز الجوانب الإيجابية في المجتمع الذي تتشكل فيه حياة الإنسان، والثاني: الشخوص السلبية والتي ذكرت أصلاً للعبرة والدرس، يقول أحد الباحثين: "كل ما ورد في القرآن من قصص لا يحيد عن الحق؛ لأنه بني على الحقائق الثابتة الخالصة، من زخرف القول وباطله"[٤]

---

(١) مثلاً:

- الشخصية الضحلة (Flat Character) : وهي شخصية موهوبة بسمة واحدة أو سمات قليلة، ومن السهل جداً التنبؤ بسلوكها.

- الشخصية التبئيرية (Focal Character): وهي الشخصية التي تعرض وفقاً لوجهة نظرها الوقائع والمواقف المسرودة، وتكون مثل الشخصية المركزية. انظر: الخطيب، عماد علي سليم أحمد، دلالة أسماء الشخصيات في الرواية الأردنية، مرجع سابق، ص١٢٨

(٢) نوفل، أحمد، تفسير سورة يوسف: دراسة تحليلية، ط١، ١٩٨٩م، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ص ١٢٧.

(٣) انظر: عليان، مصطفى، بناء الشخصية في القصة القرآنية، ط١، ١٩٩٢م، دار البشير، مصر، ص ٣٢، ٣٥، ٣٧.

(٤) نقرة، التهامي، سيكولوجية القصة في القرآن، ط١، ١٩٧٤م، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ص ١٥٦.

ومن هنا يمكن القول أن كل ما ذكر في القصص القرآني من أخبار وأحداث تتعلق بقصص الأنبياء والصالحين، إنما هي حقائق الغاية منها القدوة الحسنة والتأمل والصبر، وهذا ما كان في شخصيات إبراهيم ونوح وموسى – عليهم السلام- وهذا على سبيل المثال لا الحصر، أما ما ذكر عن الشخصيات الأخرى في القرآن الكريم غير قصص الأنبياء والصالحين، كطغيان فرعون وعدل بلقيس، وحكمة لقمان وغيرها من الأمثلة، إنما يعكس الطبيعة البشرية للإنسان، وتوجهاتها نحو الخير أو الشر.

تعددت أساليب رسم الشخصيات في القصص القرآني في جزء عمَّ، إذ أنها جاءت معجزة في أسلوبها المراعي لإنسانية تلك الشخصية، وواقعية الحالة التي عليها، علمًا أنها -أي القصص- جاءت لغايات تتعدى الجانب الإخباري إلى الجانب الوعظي والتأثيري، ومن هذه الأساليب:

أولاً: الأسلوب التصويري :

هو الأسلوب الذي ينتهج رسم الشخصية القصصية من خلال حركتها وفعلها وحوارها وهي تخوض صراعها مع ذاتها، أو مع غيرها أو مع ما يحيط بها من قوى اجتماعية أو طبيعية، راصداً نمو الشخصية من خلال نمو الوقائع وتطورها الذي ينتج عن تفاعل تلك الشخصية معها[1]، فالتفاعل مع الشخصيات الأخرى أو مع الموقف أو مع البيئة أو مع الجانب النفسي الداخلي... كل ذلك يشترك في تقديم الشخصية وصورتها الإجمالية للمتلقي، ويتحكم بطبيعة اللغة المستخدمة في تصوير هيئة هذه الشخصية.

ومن الأمثلة الواردة في قصص جزء عمَّ التي انتهج فيها السرد الأسلوب التصويري، قصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع الصحابي عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم رضي الله عنه، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ [عبس، ١-٢]؛ أي "كلح وجهه وقطَّبه وأعرض عنه كارهاً، لأنْ جاءه الاعمى يسأل عن أمور دينه"[2].

من بلاغة القرآن الكريم في هذه القصة أنه قدّم للمتلقي صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قبل أن يقدّم سبب هذا الكُلح والعبوس الذي بدا على محياه الكريم، وهو ما جذب المتلقي إلى تتبع الآيات اللاحقة ليعلم ما سبب ذلك، فالأسلوب التصويري هنا لم يأتِ لرسم هيئة النبي الكريم فقط؛ بل جاء لجذب انتباه المتلقي وشده وتشويقه للاستماع ومتابعة الآيات، والقصة أشار إليها البحث سابقاً، ويشير إليها هذه المرة من مرجع مختلف، فورد في تفسير القرطبي أنه "جَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ أَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، وَجَعَلَ يُنَادِيهِ وَيُكْثِرُ النِّدَاءَ، وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ مُشْتَغِلٌ بِغَيْرِهِ، حَتَّى ظَهَرَتِ الْكَرَاهَةُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَطْعِهِ كَلَامَهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: يَقُولُ هَؤُلَاءِ: إِنَّمَا أَتْبَاعُهُ العميان والسفلة والْعَبِيدُ، فَعَبَسَ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ ومن حكمة الله تعالى وعدله ورحمته بعباده أنه وجه نبيه الكريم إلى عدم العبوس في وجوه الفقراء والضعفاء حتى لو كان أحدهم أعمى لا يرى، فالله يرى، والآية "عِتَابٌ مِنَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِعْرَاضِهِ وتوليه عن عبد الله ابن أُمِّ مَكْتُومٍ"[3].

---

(١) سماحة، فريال كامل محمد صالح، رسم الشخصية في روايات حنا مينه، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، كلية الآداب والعلوم- قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت، ١٩٩٨م، المفرق- الأردن، ص ١٤

(٢) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣/ ٤٩٤

(٣) المرجع السابق، ١٩/ ٢١٢

ومثلما صوّرت الآيات ورسمت صورة النبي صلوات الله عليه بينت كذلك بشكل غير مباشر إلحاح ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وأنارت جانب من داخل نفسية هذه الشخصية المؤمنة المتشوقة إلى تعلّم الإسلام من منبعه، والتقرب إلى الله تعالى أكثر، فالرسم التصويري لم يكن للشخصيات من الخارج فقط؛ بل رسم ما في داخلها من إيمان أو عبوس.

ومثال الأسلوب التصويري في قصص جزء عمَّ، أسلوب تصوير الأشقى الذي عقر الناقة ولم يستمع لصالح عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ [الشمس، ١٢]، أي "إِذْ ثَارَ أَشْقَى ثَمُودَ، وَهُوَ قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ"[١]، ويكمن الأسلوب التصويري في رسم شخصية قدار بن سالف عبر تقديم هيئته الخارجية التي كان عليها "حين انطلق أشقى القوم بسرعةٍ ونشاط يعقر الناقة ... وكان عزيزاً شريفاً في قومه، ورئيساً مطاعاً فيهم، وهو أشقى القبيلة"[٢]، ورسم الشخصية لم يكن -كذلك- عبر تقديم صورة خارجية لها وحسب؛ بل تخطت ذلك لترسم هيئة قدار بن سالف النفسية وإنارة الجانب الباطن في داخله، وهذا الجانب كان مضمراً لدى قومه وكل مَن حوله أو مَن له معرفة شخصية به؛ فهو رئيساً مطاعاً وشريفاً في قومه، ولكن الله تعالى أعلم ما في داخله، وفضح فسوقه وعصيانه حين أقدم على عقر الناقة.

وحضر الأسلوب التصويري في رسم شخصية أبي لهب، قال تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد، ٢]، أَيْ "مَا دَفَعَ عَنْهُ عَذَابَ اللَّهِ مَا جَمَعَ مِنَ الْمَالِ، وَلَا مَا كَسَبَ مِنْ جَاهٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مِنَ الْوَلَدِ، وَوَلَدُ الرَّجُلِ مِنْ كَسْبِهِ. وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ (وَمَا اكْتَسَبَ) وَرَوَاهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ. وَقَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ: جَاءَ بَنُو أَبِي لَهَبٍ يَخْتَصِمُونَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَاقْتَتَلُوا، فَقَامَ لِيَحْجِزَ بَيْنَهُمْ، فَدَفَعَهُ بَعْضُهُمْ، فَوَقَعَ عَلَى الْفِرَاشِ، فَغَضِبَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَالَ: أَخْرِجُوا عَنِّي الْكَسْبَ الْخَبِيثَ، يَعْنِي وَلَدَهُ... وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا أَنْذَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشِيرَتَهُ بِالنَّارِ، قَالَ أَبُو لَهَبٍ: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَخِي حَقًّا فَإِنِّي أَفْدِي نَفْسِي بِمَالِي وَوَلَدِي، فَنَزَلَ: مَا أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ"[٣]، والأسلوب التصويري رسم شخصية أبو لهب في تقديم هيئتها من الناحية الاجتماعية؛ فهو «عبد العُزى بن عبد المطلب» عم النبي صلى الله عليه وسلم، ذو مال وجاه وعز وأولاد وسيد في قومه، كلمته مسموعة ولها أثر وصدى بين أهل مكة وعموم أسياد قريش، ورسم الشخصية التصويري التفت إلى تقديم هيئة أبي لهب الداخلية (النفسية) المليئة بالظلام والكفر والضلال.

ثانياً: الأسلوب الاستبطاني :

ويقصد به "الأسلوب الذي يمكّن القاص من ولوج العالم الداخلي للشخصية القصصية، وتصوير ما يدور فيه من أفكار، وما يتصارع فيه من عواطف وانفعالات، وما تتناوب عليه من رؤى وأحلام وذكريات في عفويتها وتلقائيتها، كاشفاً بهذا التصوير حقيقة تلك الشخصية في خصوبتها وتفردها، مع حرصه على الاختفاء من أمامها دون أن يفقد أسلوبه وعفويته، ودون أن يتحول في عمله هذا إلى عالم من علماء النفس"[٤].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، (تفسير الطبري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ٢٤/ ٤٤٨

(٢) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣/ ٥٣٩

(٣) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ٢٠/ ٢٣٨

(٤) سماحة، فريال كامل محمد صالح، رسم الشخصية في روايات حنا مينه، مرجع سابق، ص ١٨

هذا هو المفهوم الاصطلاحي للأسلوب الاستبطاني الذي تفردت به الباحثة فريال سماحة، ولكن حين نربطه بدراسة القصة القرآنية يجب إضافة تعديلات مهمة عليه؛ ليتماشى مع نوعية النص المدروس وقدسيته، فصاحب النص هو الله تعالى، أعلم العالمين بأحوال أي شخصية يذكرها، وحين يذّكر بها لا يهمه الاختفاء بل الظهور، وتحقيق الغاية الكبرى من القصص بأكملها وهي التذكير به وبوعيده وبقوته وبقدرته جل جلاله، وكشف حقيقة العالم المستبطن الداخلي لأي شخصية يتحدث عنها الله تعالى لا يكون وفق عفوية أو تلقائية، بل يكون وفق دقة متناهية وحكمة إلهية حازمة، إلى جانب حقيقة ما ورد حتى لو أن الشخصية لم تصرّح بذلك.

وسبق للبحث أن درس الجانب النفسي (الاستبطاني) بشكل غير مباشر في أنواع الخطابات واستراتيجياتها، وفي الزمان، وفي المكان، وفي الأسلوب التصويري، ومن الأمثلة على الأسلوب الاستبطاني الخاص برسم الشخصية القرآنية في قصص جزء عمَّ، قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس، ٥-٦]؛ "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى بِمَالِهِ. فَأَنْتَ لَهُ تَتَعَرَّضُ، رَجَاءَ أَنْ يُسْلِمَ"[1]، وهنا رسم للجانب المستبطن أو الداخلي لمن يرجو إسلامهم النبي صلوات الله عليه، ورسم للجانب المستبطن أو الداخلي لنفسية الرسول الكريم، والشخصيات لم تفصح عن ذلك، إن الذي أفصح خالقها والعالم الأول والأوحد بأحوالها.

والرسم السابق قابله هيئة مناقضة له، ومختلفة عنه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس، ٨- ١٠]، "يَقُولُ: وَأَمَّا هَذَا الْأَعْمَى الَّذِي جَاءَكَ سَعْيًا وَهُوَ يَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ... فَأَنْتَ عَنْهُ تُعْرِضُ، وَتَشَاغَلُ عَنْهُ بِغَيْرِهِ وَتَغَافَلُ"[2]، فالأسلوب الاستبطاني الذي اجتمع معه تقنية بلاغية يطلق عليها (المقابلة)، أسهم كل منهما في تبيان العالم الجواني الخفي لشخصية ابن مكتوم رضي الله عنه، ومدى خشية هذه الشخصية وإجلالها لله تعالى، فهذا الجانب يبدو أنه كان خفيًا عن النبي والله أعلم، وبين الرسم الاستبطاني ما في داخل الرسول الكريم من صفاء نية في تركيزه على إيمان الأسياد أولاً، والذي أفصح عن كل ذلك الله جل جلاله.

والأسلوب الاستبطاني رسم شخصية المطففين في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين، ٤- ٦]، في هذه الآيات "إنكار وتعجيب عَظِيمٌ مِنْ حَالِهِمْ، فِي الِاجْتِرَاءِ عَلَى التَّطْفِيفِ، كَأَنَّهُمْ لَا يُخْطِرُونَ التَّطْفِيفَ بِبَالِهِمْ، وَلَا يُخَمِّنُونَ تَخْمِينًا ﴿أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾ فَمَسْئُولُونَ عَمَّا يَفْعَلُونَ"[3]، فالأسلوب الاستبطاني رسم شخصية المطففين الداخلية الباطنة إلى جانب أفعالهم الخارجية، فهم غائب عن أذهانهم ولا يوجد في عقولهم ذكر ليوم القيامة ولا تخيل موقف الوقوف بين يدي الله جل جلاله، ألهتهم الدنيا وشهواتها وحبهم للمال.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، (تفسير الطبري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ٢٤/ ١٠٧

(٢) الطبري، محمد بن جرير، (تفسير الطبري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ٢٤/ ١٠٧

(٣) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ١٩/ ٢٥٤

ويلاحظ الباحث أن الأسلوب الاستبطاني في رسم الشخصيات داخل القصص القرآني جاء مختلفًا ومميزاً في تقنياته عن الأسلوب الاستبطاني في القص الأدبي الإنساني الخيالي الذي "يعتمد على الحوار الداخلي المباشر وغير المباشر، والتذكر، والتداعي الحر، والحلم بنوعيه، ومناجاة النفس"[1]، فالقصص القرآني جاء الاستبطان فيها من الله تعالى علام الغيوب، لغايات شرعية وتوجيهية وتعليمية ووعظية.

ثالثًا: الأسلوب التقريري الإخباري :

وهو الأسلوب الذي يقوم فيه السارد/ المؤلف/ القاص بتقديم الشخصية القصصية من خلال وصف أحوالها، وعواطفها، وأفكارها بحيث يحدد ملامحها العامة منذ البداية، على الأغلب، ويقدم أفعالها بأسلوب الحكاية أي في الماضي وعلى شكل ملخصات، معلقاً على أفعالها ومعللاً لها بأسلوب مباشر، فتبدو شخصية جامدة، ثابتة، باهتة الملامح، عاجزة عن القيام بأية أفعال حقيقية، وعاجزة كذلك عن التفاعل مع الأحداث فلا تتأثر بحركة الأحداث من حولها ولا تؤثر فيها أي تكون منفصلة عن الحدث، ومعزولة بالتالي عن الزمان والمكان

وهذا المفهوم الاصطلاحي أو الفني للأسلوب التقريري أو الإخباري بحاجة إلى بعض تعديلات مهمة حين يُوظف في دراسة القصص القرآني، فالقصة القرآنية تختلف بؤرة رؤية قصها من سورة إلى أخرى، ومن آية إلى أخرى، إن القصة ليست واحدة متكررة في القرآن الكريم بعمومه -وهذا ما فصلت القول فيه الدراسة سابقًا- لكن الشخصية واحدة وقد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع، وفي كل مرة تُذكر يُنار جانبًا مهمًا في رسم شخصيتها؛ لذلك لا يمكن النظر مثلاً إلى قصة موسى في سورة طه بنفس الطريقة التي ننظر فيها في سورة النازعات، وبناءً على هذا الرأي يرى الباحث أن ما سبق ذكره في القرآن الكريم من قصص أو شخصيات يمكن أن يُعدّ تمهيدًا أو إخبارًا أو تقريرًا عن شخصيات جزء عمَّ بشكل غير مباشر، وهذا ما سيتم توضيحه.

والأسلوب التقريري أو الإخباري في قصص جزء عمَّ انطبق عليها رؤية الباحث في أن التقرير والإخبار كان -غالبًا- في سور سابقة، إلا أن الشخصيات حضرت بجمود دون أن يؤثر ذلك على بناء القصة، وتفاعل المكان والزمان والأحداث على حساب الشخصية الرئيسية، كما أن التقرير والإخبار في رسم الشخصية كان مكثفًا جدًا.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ [الفجر، ١٠]، أي "فرعون الطاغية الجبار، ذو الجنود والجموع والجيوش التي تشد ملكه، قال أبو السعود: وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم أو لتعذيبه بالأوتاد فالله تعالى لم يفصّل القول في فرعون ولم يرسم شخصيته بدقة هنا، في هذه الآية أو في هذا الموضع من هذه السورة، لكنه جل جلاله وضح ذلك في سور سابقة، وكان الأسلوب التقريري مكثفًا بما ميّز القص القرآني عن الرواية أو القصة الأدبية الإنسانية، كما أن قوله: ﴿ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ هو الذي كان حاضرًا في القصة على حساب الشخصية الأساسية (فرعون)، ففرعون جامدٌ غير فاعل في القصة، والذي أخذ زمام الأمور طبيعة هذه الأوتاد أو ما تحيل إليه من أحداث قام بها فرعون سابقًا، أو ما تدل عليه من قوة وجبروت وطغيان، ففي هذا الإيجاز تقرير وإخبار بشكل مفصل ودقيق، وهذا من وجوه بلاغة القرآن الكريم.

(١) سماحة، فريال كامل محمد صالح، رسم الشخصية في روايات حنا مينه، مرجع سابق، ص ٢٢

وذلك ينطبق على قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾ **[الفجر، ٧]، وقوله تعالى:** ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ **[الفجر، ٦]، وقوله تعالى:** ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ **[الشمس، ١١]، وقوله تعالى:** ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾ **[البروج، آية: ١٧- ١٨]؛ ويلاحظ من الآيات السابقة أن عاد، وثمود، وفرعون، شخصيات حاضرة في الآيات دون أن تكون فاعلة أو مؤثرة في الأحداث أو في الزمان أو في المكان؛ فهي شخصيات جامدة، يُخبر عنها الله تعالى بإيجاز مكثف جداً؛ لأنه أراد ذكرها لغايات معينة في موضعها هذا، على رأس هذه الغايات مواساة النبي محمد صلى الله عليه وسلم -كما أسلف البحث- ولم يكن موضع هذه الشخصيات يقتضي تفصيل القول عنها، فهي مذكورة في سور سابقة ومواضع مختلفة من القرآن الكريم.**

وخلاصة القول، إن التقرير الذي رسم هيئة هذه الشخصيات قد ذُكر في سور سابقة، بينما موضعها الآني يقتصر على الإخبار فقط، مما جعلها جامدة غير فاعلة في القصة.

المبحث الثالث: التشكيل المكاني

يندرج مفهوم المكان في اللغة تحت الجذر (مكن) بمعنى الموضع، والجمع أمكنة، وأماكن جمع الجمع[١]، وهذا في ذكر ابن منظور في معجم (لسان العرب)، فذُكر المكان في جذرين هما (كون، مكن)، إلا أن ابن منظور يؤكد الجذر الحقيقي هو (كون)، وقال فيها: توهموا الميم أصلا حتى قالوا تمكّن في المكان [٢]، جاء في قوله تعالى: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ [طه، ٥٨]، وقوله: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ [الفرقان، ١٣]، المُراد: الموضع الحاوي للشيء[٣].

أما المكان الفني لا يقصد به المكان الخارجي بالواقع، ولا المساحة الجغرافية؛ المقصود به (المكان اللفظي المتخيل، أي المكان الذي صنعته اللغة انصياعًا لأغراض التخييل وحاجاته [٤]، فهو المكان الذي يُنسج عن طريق الكلمات ويستثار باللغة ذات الخصائص الإيحائية، لهذا تم التمييز من قِبل البنيويين بين المكانيّ: الخارجي والفني، "فالمكان الخارجي هو المكان الحقيقي الموضوع على الخارطة الجغرافية وقد أطلقت عليه تسميات عدّة (المكان الواقعي، والموضوعي، والطبيعي والمرجعي..) أما المكان الفني القصصي، فهو مكان متخيّل"[٥] يقوم في مكان المتلقي وليس في العالم الواقعي، " له مقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة" [٦] .

ورغم أن انطلاق بناء أي قصة من مكان هندسي، إلا أن القاص يصنع للمتلقي مكانًا فنيًا يتفوق على المفهوم الواقعي الجغرافي (الهندسي) أو (الفيزيائي) الملموس، فإن هدفه ليس التصوير المكاني بل تشكيل مكاناً فنياً يظهر في شكل مبنيّ من الكلمات التي تدهش خيال المتلقي وتحمله لتصور المشهد.

كما أن المكان الهندسي لا يمتلك أي قيمة فنية لهذا هو مختلف عن المكان الفني، بالرغم من أن صلته شديدة بعض الشيء به؛ لأنه يحاكي العالم الخارجي الذي يفوق العمل الأدبي، لهذا تتعدد الجماليات للمكان الواحد وتختلف بحسب وجهات النظر لكل قاص وطرق تقديمه للمتلقي، وإن الموافقة بين المكان الهندسي والفني هي "ضرب من العسف؛ لأنها تفرغ النص من أحد أبعاد التخيلية وتجرده من جمالياته، وتحيل المكان إلى مجال أجوف لا معنى له"[٧]، ومن هنا يمكن القول بأن المكان الفني أكبر اتساعًا من أن يكون مجرد مكان فقط بأبعاده الطولية والعرضية والارتفاعية.

إن المكان في القصة القرآنية هو مكان تخيّلي أعدّه الله سبحانه وتعالى في القصة ليضع المتلقي في نفس الظروف التي تعرضت لها شخصيات القصة، وله -أي المكان- خصائصه التخيلية التي أهّلته لأداء محوريته في تشكيل بنية النص والقص والخطاب القرآني بعمومه، وهذا ما سيتم توضيحه في هذا المحور بإذن الله في قصص جزء عمَّ.

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ١٤/ مادة (مكن) ص ١١٣.

(٢) انظر: المصدر السابق، ١٤/ مادة (كون) ص ١٣٦.

(٣) الزين، سميح عاطف، معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ط٤، ٢٠٠١م، الدار الإفريقية، مادة مكن، ص٨٤٣.

(٤) انظر: الفيصل، سمر روحي، بناء الرواية العربية السورية، ط١، ١٩٩٥م، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ص ٢٥١.

(٥) أحمد، مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ط١، ٢٠١٥م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص١٢٩.

(٦) قاسم، سيزا أحمد، بناء الرواية، ط١، ١٩٨٥م، دار التنوير، بيروت، ص٧٤.

(٧)قاسم، سيزا أحمد، بناء الرواية، مرجع سابق، ص:١٣٠ .

كما ويعتبر الفضاء هو المصطلح العام الذي يمكن أن يُطلق على الأماكن التي بَنَت النص القصصي القرآني، فإن مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقيًا أن نطلق عليه اسم فضاء القص القرآني؛ لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكوّن رئيس للفضاء[١]، إذً مجموع الأمكنة القصصية القرآنية هي الفضاء العام للأحداث والشخصيات ضمن أزمنة معينة ووجهات نظر ورؤى متنوعة، والفضاء "يحدد نوعية الفعل وليس مجرد إطار فارغ تصب فيه التجارب الإنسانية"[٢] فالفضاء المكاني أوسع وأشمل من المكان بحيث أن له صفة الشمولية، تشمل مختلف الأماكن المحددة وما يجري عليها، أما المكان لوحده له صفته الجزئية فقط.

واختلفت الآراء حول موضوع (المكان) وأنواعه وتقسيماته، واجتمعت الاجتهادات المتفرقة ذات قيم علمية[٣]، لبناء قواعد وأسس يمكن الاعتماد عليها في الأبحاث كشكل أولي.

أما السرد القصصي القرآني فقد ظهر المكان فيه وحضر بقوة ليشكل خطاباً له من الطاقة الإيحائية والتأثيرية والإفضائية التي تنطلق لتزكية المقصد والغاية، وتقوية مواقف العبرة الدينية، وقرر أحد الباحثين أن للمكان "حسابه أيضًا في قصص القرآن، إذ هو أشبه بالوعاء للأحداث؛ لأنها تقع فيه وهو ملموس، كما تقع في الزمان وهو شيء موهوم (أي غير ملموس)"[٤].

ويتجسد المكان في القصة القرآنية على حالتين[٥]، تتجسّد إحداهما في اصطحاب الوقائع والأحداث بذكر المكان، أما الحالة الثانية فهي تستغني عن ذكر المكان وتخلو الأحداث منه؛ لأن لا شيء يدعو إلى تحديده، "فقد يكون ما تحمله القصص من أفكار هامة، ما يجمل معها التجريد لإلقاء درس في الكون الفسيح الرحب الذي هو جماع الأمكنة" [٦].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص:٦٢.

(٢) انظر: بنكراد، سعيد، السيميائيات السردية، ط١، ٢٠٠١م، منشورات الزمان، الرباط، ص ١٣٧.

(٣) - إن أول من اهتم بدراسة المكان هم الفرنسيون ، ذلك في عهد الستينيات والسبعينيات و أبرز هؤلاء : (جورج بولي، وجليير دوران، ورولان برونوف) . انظر: مدقن، كلثوم، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال "للطيب صالح"، الأثر- مجلة الآداب واللغات- جامعة ورقلة، ع٤، ٢٠٠٥م، الجزائر، ص١٤٠

- أول تقسيم للمكان الروائي كانت بمثابة ورقة عمل للروائي (غالب هلسا) في ملتقى الرواية العربية الجديدة بمدينة فاس سنة ١٩٨٩م، والتي وضع من خلالها أولى التصنيفات المكانية في الرواية العربية المعاصرة. حيث قسمه إلى: المكان المجازي (المفترض-ذو الوجود الغير مؤكد-)، والمكان الهندسي، والمكان ذو التجربة المعاشة، والمكان العادي. =انظر: يوسفات، لطيفة، المكان في الرواية العربية المعاصرة، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية –جامعة زيان عاشور بالجلفة، الجزائر، ع٢٠، ٢٠١٤م، ص١٥٤-١٥٥

- قسم غاستوف باشلار الأمكنة إلى: أمكنة متناهية في الصغر، وأمكنة متناهية في الكبر. انظر: باشلار، غاستون، جماليات المكان، ترجمة: هلسا، غالب، ط٣، ١٩٨٧م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ص٣٣

- قسم فلاديمير بروب المكان في الحكاية الخرافية ثلاثة أقسام: المكان الأصل، المكان العرضي، المكان المركزي. انظر: كاصد، سليمان، عالم النص: دراسة بنيوية في الأساليب السردية، د.ط، ٢٠٠٣م، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ص١٢٩

(٤) عبد ربه، السيد عبد الحافظ، بحوث في قصص القرآن، ط١، ١٩٧٢م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص٦٢

(٥) انظر: طول، محمد، البنية السردية في القصص القرآني، ط١، د. ت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص٤٣ وما بعدها.

(٦) المرجع السابق، ص ٦٢.

أولاً: المكان الحاضر بذكره :

وهو المكان المذكور صراحة باسمه أو صفته أو حدوده أو طبيعة جغرافيته على الأرض أو في العالم الآخر أو في غيبيات القرآن الكريم، ولم يحضر هذا المكان على أرض الواقع، أي لم يشاهده أحد، أو لم يجمع أحد على قول مخصوص فيه، وحضر هذا النوع المكاني في جزء عمَّ في مواضع مختلفة، منها قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات، ١٥- ١٦]، وذهب ابن عثيمين إلى أن الوادي المقدس هو الطور المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم، ٥٢] أما طوى هو اسم ذلك الوادي[١]، ويقع هذا الوادي "في أسفل جبل طور سيناء"[٢]، "وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: طَأِ الْأَرْضَ حَافِيًا"[٣]، و "قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوَيْتُهُ، فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ مِنْ قَوْلِهِمْ طُوًى مَصْدَرٌ خَرَجَ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ :طَوَيْتُ الْوَادِيَ الْمُقَدَّسَ طُوًى... وَذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بِوَادِيهَا لَيْلًا فَطَوَاهُ، يُقَالُ :طَوَيْتُ وَادِي كَذَا وَكَذَا طُوًى مِنَ اللَّيْلِ، وَارْتَفَعَ إِلَى أَعْلَى الْوَادِي، وَذَلِكَ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ولاحظ الباحث مدى اختلاف المفسرين وعدم اجماعهم على تحديد مفهوم معين للوادي المقدس طوى أو الطور، فمثلاً الزمخشري لم يقف عند تفسير هذه الجزئية الغامضة وتجاوز عنها في كتابه الموسوم: (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، واكتفى بالمعنى اللغوي والصرفي للمفردة، ويجترح الباحث رأياً جديداً في هذه المسألة؛ وهو أن طوى من طويت الشيء تطويه طيّاً، أي تخفيه بعد ظهوره وكأنه غير موجود، والوادي المقدس طوى أوجده الله تعالى ليتجلى به سبحانه ويتحدث به مع كليمه موسى عليه السلام، وبعد انتهاء هذه الحادثة أخفاه أو أزاله الله جل جلاله بقدرته التي أوجدته بعد عدمه كي لا يأخذه الناس من بعد موسى عليه السلام كمكان مقدس يطغى على قدسية مكة أو المسجد الأقصى أو البيت المعمور في السماء، وذلك فيه حكمته جل جلاله؛ لأن رسالة الإسلام لم تكن ظاهرة آنذاك، والله أعلم.

فالمكان كان ظاهراً في ذكره وذكر الأحداث التي جرت عليه فقط، وهو غير معلوم، أو غير محدد موقعه على جغرافية الأرض.

ومن الأمثلة على الأماكن الحاضرة في القصص القرآني بذكرها فقط في جزء عمَّ بشكل مباشر وصريح، قوله تعالى: ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد، ٣- ٤]، فالسين في قوله تعالى: ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾ للتنفيس المفيد للحقيقة والقرب، يعني أن الله تعالى توعده بأنه سيصلى ناراً ذات لهب عن قريب وامرأته معه والبعد المكاني في هذه الآيات هو تحديد (النار) التي سيودع بها أبو لهب وزوجته، وهذه النار حاضرة بذكرها فقط داخل النص القرآني بالنسبة للإنسان العادي، وغير معلوم عنها إلا صفاتها التي أسهب القرآن الكريم في الحديث عنها بمواضع متنوعة ومتعددة ومختلفة

---

(١) انظر: العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم: جزء عمَّ، مرجع سابق، ص ٤٦

(٢) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣/ ٤٨٩

(٣) الطبري، محمد بن جرير، (تفسير الطبري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ٢٤/ ٧٩

وهذا الحضور النصي يشابه بشكل كبير حضور الوادي المقدس (طوى)، فالمكان بات معلوماً للجميع رغم عدم رؤية أي أحد له، وكل مَن هو على هذه العقيدة واجب عليه الإيمان بها، والخشية من الدخول فيها، جنبنا الله دخولها.

ومن الأمثلة على الأماكن الحاضرة بذكرها في قصص جزء عمَّ، قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ﴾ [الفجر، ٧- ٩]، "اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِرَمَ﴾، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ اسْمُ بَلْدَةٍ، ثُمَّ اخْتَلَفَ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ فِي الْبَلْدَةِ الَّتِي عُنِيَتْ بِذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَتْ بِهِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ... وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ دِمَشْقُ... وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِرَمَ﴾ أُمَّةٌ... وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: الْقَدِيمَةُ... وَقَالَ آخَرُونَ: تِلْكَ قَبِيلَةٌ مِنْ عَادٍ... وقال آخَرُونَ: إِنَّ عَادَ بْنَ إِرَمَ بْنِ عَوْصَ بْنِ بَسَّامِ بْنِ نُوحٍ، وَقَالَ آخَرُونَ ﴿إِرَمَ﴾ الْهَالِكُ"[1] وقد رجح الطبري رأياً يقضي بأن إرم هي اسم قبيلة أما ابن عثيمين لم يرجح رأياً حول ﴿إِرَمَ﴾، فقال: "قيل أنها اسم قبيلة، وقيل اسم قرية، وقيل غير ذلك، فسواء كانت اسم للقبيلة أو اسم للقرية فإن الله تعالى نكل بهم نكالاً عظيماً مع أنهمم أقوياء"[2]، والباحث يذهب مع الرأي الذي يقول بأنها اسم قرية بائدة، لذلك قد أدرج هذه الآيات ضمن المكان الحاضر بذكره فقط، فهو مكان بائد لم يره أحد، أما قوله تعالى: ﴿ٱلۡبِلَٰدِ﴾، هي الأحقاف، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ [الأحقاف، ٢١]، وَالْأَحْقَافُ: هِيَ جَمْعُ حِقْفٌ، وَهُوَ مَا انْعَطَفَ مِنَ الرَّمْلِ وَانْحَنَى، وَلَيْسَتِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ وَلَا دِمَشْقُ مِنْ بِلَادِ الرِّمَالِ، بَلْ ذَلِكَ الشِّحْرُ مِنْ بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ، وَمَا وَالَاهَا وفي ذلك دلالة على مدى قوة قوم عاد وبطشهم حين صيروا حضارة فوق الرمال.

أما قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ﴾؛ أي "خَرَقُوا الصَّخْرَ وَدَخَلُوهُ، فَاتَّخَذُوهُ بُيُوتًا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢]، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: جَابَ فُلَانٌ الْفَلَاةَ يَجُوبُهَا جَوْبًا: إِذَا دَخَلَهَا وَقَطَعَهَا؛ وَمِنْهُ قَوْلُ نَابِغَةَ:

أَتَاكَ أَبُو لَيْلَى يَجُوبُ بِهِ الدُّجَى ... دُجَى اللَّيْلِ جَوَّابُ الْفَلَاةِ عَمِيمُ"[3].

والبعد المكاني في هذه الآية محصورٌ في مكان معيشة قوم ثمود، ومنازلهم التي اتخذوها من حفر الصخور في بطون الجبال، والمكان حاضرٌ بذكره فقط؛ لأن قوم ثمود أبادهم الله ولم يشاهد أحدٌ بيتوهم ومنازلهم، لكن القرآن هو الذي أخبرنا عن قصتهم، وهنا أيضاً دلالة على مدى قوة وبطش قوم ثمود حين صيروا حضارة من الصخور وفوقها.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، (تفسير الطبري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ٢٤/ ٣٦١- ٣٦٤

(٢) العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم: جزء عمَّ، ص ١٩٥

(٣) الطبري، محمد بن جرير، (تفسير الطبري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ٢٤/ ٣٦٨

ثانياً: المكان الحاضر رغم عدم ذكره :

وهو المكان الذي لم يذكر النص القصصي القرآني صراحة اسمه أو حدوده الجغرافية على الأرض أو في العالم الآخر أو في غيبيات القرآن الكريم، وكانت الأحداث الجارية عليه والشخصيات القائمة بها حاضرة، وكل ذلك لحكمة إلهية تعكس مدى بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، فعدم الذكر المباشر أفاد تعميم الأحكام والتوجيهات للإنسان كي يتعظ، وغياب ذكر المكان نصياً أفاد حضوراً فاعلاً لنتائجه خارج النص؛ أي في حياة الإنسان، مما ترك مجال التأويل مفتوحاً للتأمل والاتعاظ والتفكر بقدرة الله تعالى ورحمته، وحضر هذا النوع المكاني في جزء عمَّ في مواضع مختلفة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين، آية: ١- ٦]، يقال أنه "لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيْلًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ"[1]، وهذا الرأي فيه اجتهاد تأويلي، ولا يوجد إجماع على أن الآيات الكريمة قد نزلت بأهل المدينة، أو بأناس معينين، بل جاءت على شكل خطاب عام ينطبق على أي إنسان في أي مكان أو زمان يقوم بمثل أفعال المطففين -كما أسلف البحث في موضع سابق- وعدم تحديد المكان نصياً، أفاد تعميم الأحكام التي جرت عليه حياتياً، فالمكان في هذه الآيات كان حاضراً رغم غيابه وعدم ذكره، وفاعلاً بنتائج الأحداث التي جرت عليه، وبذلك إن المكان "لا يأخذ قيمة تعبيرية، إلا ضمن السياق التوجيهي للقصة "[2].

ومثال المكان الحاضر رغم عدم ذكره صراحة في قصص جزء عمَّ، قوله تعالى في إخباره عن فرعون: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات، ٢٣- ٢٤]؛ أي قام فرعون بـ" جَمَعَ قَوْمَهُ وَأَتْبَاعَهُ فَنَادَى فِيهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾"[3]، ومكان الحشر أو جمع الناس لم يُذكر صراحة، وذلك ليس تقليلاً من أهميته، بل إن خطورة الموقف والأحداث الجارية فيه هي ذات الأهمية الكبرى والأحق في الذكر أو التفصيل، لذلك فإن ذكر المكان في القصة القرآنية هو درجة من درجات الأغراض الدينية، فإذا تعلق هذا الغرض بمكان محدد وجب حضور المكان والإعلان عنه، علماً أن الغرض الديني يصلح لكل زمان ومكان، أما إذا لم يلتزم بمكان معين -كما في مثال المطففين- كان شاملاً للفضاء المطلق، وهكذا جاء المكان في القرآن مادة توصيل وإيحاء" [4].

---

(١)الطبري، محمد بن جرير، (تفسير الطبري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ٢٤/ ١٨٦

(٢) عشراتي، سليمان، الخطاب القرآني، ط٣، ١٩٩٨م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص١٦٠

(٣) الطبري، محمد بن جرير، (تفسير الطبري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ٢٤/ ٨٣

(٤)عشراتي، سليمان، الخطاب القرآني، مرجع سابق، ص ١٤٧

ثالثاً: الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة:

تشكل الأماكن المفتوحة والمغلقة بؤرة في سور جزء عمَّ، وتجسد رؤى متنوعة، وقد اكتسبت هذه الأماكن أهميتها لأنها أحد عناصر الخطاب السردي القصصي في سور جزء عمَّ، وتتحرك فيها الأحداث والشخصيات وبقية عناصر البناء الفني، كما أن السرد يتلون ويتشكل وفق المواقف والرؤى المتأثرة بإطارها المكاني (مغلق- مفتوح).

وقد تكون الأماكن المفتوحة أو المغلقة هي المحور والهدف من وجود بعض السور والآيات الكريمة، فالأماكن المفتوحة تمثل فضاءات مطلقة، مثل: السماء، والأرض، والأماكن المفتوحة تعذر حضورها في قصص سور جزء عمَّ عينة الدراسة (عدا قصة المطففين) لكنها حاضرة وبكثرة في سور الجزء.

أما الأماكن المغلقة، هي التي يقيم فيها البشر، وتشكل مكانًا خاصًا بهم، قد لا يخرجون منه، مثل: المقابر، والجنة، والنار.... وتتميز هذه الأماكن بالانحسار والانغلاق، وهي أماكن منفصلة عن العالم الخارجي، لها شروطها وقوانينها الخاصة التي لا يمكن تجاوزها، ووضعت وفق قوانين ربانية.

ومثال الأماكن المغلقة في قصص سور جزء عمَّ، قوله تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [النازعات، ١٩]، فالوادي المقدس مكان محصور/ مغلق حدثت عليه جميع الأحداث والحوارات الربانية مع موسى عليه السلام، وهو ذو صفات ربانية أضفت عليه قدسية جعلت موسى عليه السلام يخلع نعليه لتمسه بركته.

ومن الأماكن المغلقة ما ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [النازعات، ٢٣]، وهو المكان الذي جمع فيه فرعون الناس وادعى ربوبيته -معاذ الله- وهذا المكان أشبه بمكان الحشر الذي يُجمع فيه الناس رغمًا عنهم، وقد يكون مكان ضيق دلت على ضيقه لفظة (حشر) التي تعني ضغط شيء ما في مكان لا يتسع له.

ومن الأماكن المغلقة في قصص سور جزء عمَّ، (الأحقاف)، وقد أشار البحث بشكل مفصّل في موضع سابق إلى طبيعة هذا المكان وأهله.

المبحث الرابع: تقنيات السرد

ورد في لسان العرب لابن منظور أن "زمن الزَمَنُ والزَمانُ: اسمٌ لقليل الوقت وكثيره، ويجمع على أَزمانٍ وأَزْمِنَةٍ وأَزْمُنٍ. ولقيته ذاتَ الزُمَيْنِ، تريد بذلك تراخيَ الوقت، كما يقال: لقيته ذات العُوَيْمِ، أي بين الأعوام. عاملته مُزامَنَةً من الزَمَنِ، كما يقال مشاهرةً من الشهر"[١].

وتكرر تعريف الزمان في لسان العرب بموضع آخر جاء فيه: "والزَمانَةُ: آفة في الحيوانات. ورجلٌ زَمِنٌ، أي مُبْتَلىً بيِّن الزَمانَةِ ، والزمان يقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وأله وسلم أنه قال لعجوز تخفى بها في السؤال وقال: كانت تأتينا أزمان خديجة أراد حياتها ثم قال :وإن حسن العهد من الإيمان وقوله في ألحديث: إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ،وقال: ابن الأثير: أرادوا استواء الليل والنهار واعتدالهما، وقيل :أراد قرب انتهاء الدنيا والزمان يقع على الدهر وبعضه" [٢].

إن المفهوم المعجمي بتعدد تصاريف لفظة (زمن) يشير إلى الوقت، وهذا المفهوم لا يتناقض أو يختلف كثيراً مع المفهوم الاصطلاحي الذي توسع في رؤيته لهذا المفهوم واتحاده مع المكان، فهو يرى أن "الفصل بين عنصري الزمان والمكان يعد أمراً شكلياً بغرض الدرس المنهجي؛ نظرًا لارتباطهما ارتباطاً كلياً في النص، فالحدث لابد أن يقع في مكان معين وزمان بعينه، فالزمان والمكان إذن عنصران متلازمان متداخلان"[٣]، وهو ما يطلق عليه الوحدة الكرونوطوبية (الزمكانية)[٤].

عالجت الدراسات السردية الحديثة موضوع الزمن لما له من أهمية في السرد القصصي بعمومه، ذلك لأن؛ الزمن لا يشيخ ولا يموت بل يستمر مع الأجيال[٥]، وجاءت هذه الدراسات دقيقة وحريصة على اتباع منهجية علمية صارمة في دراسة الزمان؛ بل إن بعضها قد اختلف في نوعية المصطلح، زمن أم زمان؟ ورجح بعضهم أن مفهوم لفظة (الزمن) مرتبطٌ بالدراسات العلمية وقوانين الفيزياء، أما (الزمان) هو الذي يشير إلى أي حقل إنساني أدبي.

إن الزمان الأدبي عنصراً أساسياً في بنية النص الأدبي وهو زمان يصنعه المبدع مخالفاً به الزمان الطبيعي المنطقي "فهو ضروري في تصميم شخصيات العمل الأدبي وبناء هيكلها، وتشكيل مادتها وأحداثها"[٦] ويتمثل زمان السرد في الموقع الزمني الذي يختاره السارد للنطق بأحداث القصة "فقد يحكي الحدث بعد وقوعه، وقد يتوقعه قبل وقوعه، وقد يحكيه من موقع متزامن ويلاحقه في الحاضر لحظة بلحظة"[٧].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ٧/ ٦١.

(٢) المصدر السابق، ٦/ ٨٦- ٨٧.

(٣) العف، عبد الخالق محمد، الزمان والمكان في رواية رابع المستحيل للقاص عبد الكريم السبعاوي، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية مج١٦، ع٢، غزة- فلسطين، ، ص٢٤

(٤) انظر: الرواجفة، ليث سعيد، مدارات سردية: قراءات تطبيقية على الرواية والقصة القصيرة جداً، ط١، ٢٠١٨م، دار الدراويش للنشر والتوزيع والترجمة، جمهورية بلغاريا – بلوفديف، ص١٧

(٥) انظر: شابي، سعاد، الزمن السردي في النص القصصي العربي، مجلة الحقوق والعلوم الانسانية –جامعة زيان عاشور بالجلفة- ع٨، ٢٠١١م، الجزائر، ص٢٦٥

٦ - سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ط١، ١٩٨٩م، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص ١٠ .

٧ - الزهراني، أسماء، بطولة الزمن السردي : و أزمة الذات الأنثوية في القصة :القاصتان هدى المعجل و خديجة الصاعدي أنموذجًا، مجلة الجوبة – مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية- السعودية، ع٥١، ٢٠١٦م، ص٧

وعند التعامل مع القصة القرآنية يجب مراعاة أنها "ليست أولاً خاطرة في ذهن الله، ولا هي ثانيًا تسجيل لتجربة مرت بها مخيلته، ولا هي ثالثًا بسط لعاطفة اختلجت في صدره، فأراد أن يعبر عنها بالكلام، وليست القصة القرآنية لونًا من ألوان الأقصوصة، أو القصة أو الرواية، أو الحكاية بالمعنى المتواضع عليه، وكذلك فهي لا تحمل العناصر الفنية، ما حملها نقاد العصر الحديث"[1]، فالزمان حين تتم دراسته في القرآن الكريم يجب أن يراعى أنه زمان حقيقي بكل ما يحمل من تقنيات سردية زمانية مثل الاسترجاع والاستباق والآنية والوقفات الوصفية، هو زمان حقيقي يُعَبّر عنه باللغة، وهذا يختلف كثيراً عن الزمان الأدبي الذي يكون خيالياً تصنعه اللغة فقط، فالقرآن الكريم تحدث عن قصص الأمم الماضية، وقصة الإنسان الذي خلقه الله تعالى، وتحدث عن قصص الأنبياء وعن أهوال يوم القيامة، وعن حال نار جهنم وحال الجنة، وكل ذلك ضمن فترات زمانية وتقنيات زمانية متنوعة ومعينة ومخصوصة، لذلك تقصي الزمان في القرآن الكريم قد يكون أدبيًا في الأدوات النقدية وعلميًا في المنهج، لكن فلسفته الداخلية مبنية على الإيمان والتصديق وإزالة المخيلة أو الإبداع الإنساني المتواضع عليهما.

إن القصة القرآنية تلقت حيز زماني للدنيا، فالزمانية جعلت من القصة القرآنية قصة كونية ممتدة، وهي محيطة بكل الأحداث التي حدثت منذ زمن خلق آدم، إلى زمن آخر واحد من ذريته، فقد تكون اشتملت الفضاء المكاني الذي حدث في الأرض والسماء، إذ "حدثية القصة كما نرى مترابطة يكاد الحس الزمني فيها يغيب، فهي مواقف إلهية مع الملائكة، ثم مع إبليس، ثم مع آدم، ثم ما كان من باقي الأحداث التي تجري خارج الحيز الزماني الأرضي" [2]، وهنا انطبقت وتحققت مقولة رولان بارت: "ولأنّ القصة كونية ومتجاوزة للتاريخ والثقافة فالقصة الفنية مهما كانت براعة مبدعها لا تتسع إلا لمساحة ضيقة من هذا المكان الكوني الشاسع، ويمكن حصرها بحدود معينة، ولا تعبر إلا عن لحظة زمنية قصيرة من عمر الإنسانية الممتدة قرونًا كثيرة من الزمن، وهذا ما يبين تفرد القصة القرآنية من حيث الزمانية.

وحضر الزمان في القصص القرآنية الواردة في جزء عمَّ بأشكال متنوعة، وبتقنيات سردية مختلفة، تناسب نوعية الخطاب والغاية والمقصدية والمقام، وهذا ما سيوضحه البحث.

أولاً: الاسترجاع التاريخي :

يختلف الاسترجاع التاريخي اختلافاً كلياً عن السرد التاريخي أو الزمان التاريخي الذي تتميز به بنية السرد التقليدية الكلاسيكية التي يجيء فيها الزمان متسلسلاً تسلسلاً منطقياً، ذا بداية ووسط ونهاية... وهو الزمان الذي يعمد الراوي التقليدي بضمير الهو -من خلاله- إلى إيهام المتلقي بواقعية ما يرويه من أحداث وعلاقات[3]، فالاسترجاع التاريخي في القصص القرآني ليس استرجاعاً تخييليًا وهمياً كاذبًا، أو (Flash back) يبدأ من نقطة ماضية ليتحول بعدها بشكل مباشر إلى زمان حاضر أو مستقبلي بغية خلق الدهشة في ذهن المتلقي؛ بل إن الزمان التاريخي الذي يقصده الباحث هو عملية السرد التاريخي للحقائق الواقعة في زمان ماضي ومندثر، واختيار مفردة (الاسترجاع) جاءت لأن الله تعالى يعلم ما لا يعلمه الإنسان. ويريد بكلامه -أي القرآن- أن يرجع بالمتلقي إلى أخبار الأمم والأنبياء التي لم يسمع عنها أحد أو لم يعلم تفاصيلها أحد غيره جل جلاله.

---

(١) أبو جندي، خالد أحمد، الجانب الفني في القصة القرآنية: منهجها و أسس بنائها، ط١، د. ت، دار الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر،.ص١٢٧.

(٢)عشراتي، سليمان، الخطاب القرآني، مرجع سابق، ص١٢٨.

(٣) انظر: يوسف، آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط٢، ٢٠١٥م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص٩٨

ولاحظ الباحث أن هذا النوع من الزمان -الاسترجاع التاريخي- رافقه الزمان النفسي ولكن بطريقة مميزة جداً عن الزمان النفسي في الروايات أو القصص الأدبية، والمقصود بالزمان النفسي هو الذي يعتمد على الأحداث الداخلية التي تقع في أعماق الشخصيات، فهو يبدو في الخبرات الإنسانية كما تحسه وتراه الشخصيات في ضوء الأحداث؛ فتنعكس التحولات الزمنية على نفسيتها ومواقفها"[1]، وبمعنى آخر هو "الزمن الذي يكشف عن معاناة نفسية يعانيها السارد من خلال التشكيل اللغوي الذي يعكس واقعاً داخلياً تمر به شخصية هذه القصة، حيث تبدو أنها تعيش تناقضات واقعها وعدم استقرارها على حال، مما يكشف أن الواقع النفسي لا علاقة له بالزمن الآلي الذي تقيسه الساعات"[2]، ومن خلال المفهوم العام ومحاولة ربطه بالنص القصصي القرآني في جزء عمَّ تحديداً لاحظ الباحث أن الزمان النفسي كان مرتبطاً بمواساة نفسية النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكل مَن معه، فالمفهوم عكسي في دلالته وتوظيفه عند ربطه بالنص القرآني، ففي الرواية مرتبط الزمان النفسي بالسارد أو الراوي أو الشخصية المتكلمة، أما في القرآن، الله تعالى أعلم بأحوال النفسية التي يخاطبها لذلك جاء الاسترجاع التاريخي لغرض نفسي عكسه الزمان النفسي الخاص بالمخاطب وهو النبي محمد صلوات الله عليه في النماذج المختارة التالية من جزء عمَّ.

ومثال ذلك الاسترجاع الزماني في الإخبار عن أحوال قوم عاد، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر، ٦]؛ أي "ألم يبلغك يا محمد ويصل إلى علمك، ماذا فعل الله بعاد قوم هود؟"[3]، ﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [الفجر، ٨]؛ أي "تلك القبيلة الي لم يخلق الله مثلهم في قوتهم، وشدتهم، وضخامة أجسامهم، والمقصود من ذلك تخويف أهل مكة بما صنع تعالى بعاد، وكيف أهلكهم وكانوا أطول أعماراً، وأشدَّ قوة من كفار مكة"[4]، فالاسترجاع الزماني جاء لمواساة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكل مَن آمن به، ويذكرهم الله بقدرته وعظمته وعدله، ويحثهم بشكل غير مباشر على ضرورة الصبر والتوكل عليه.

وتكرر ذلك بنفس السورة، حين قال تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ﴾ [الفجر، ٩]؛ أي "وكذلك ثمود الذين قطعوا صخر الجبال، ونحتوا بيوتاً بوادي القُرى وكانت مساكنهم في الحجر بين الحجاز وتبوك قال المفسرون: نحت الجبال والصخور والرخام قبيلة ثمود وكانوا لقوتهم يخرجون الصخور، وينقبون الجبال فيجعلونها بيوتاً لأنفسهم، وقد بنوا ألفاً وسبعمائة مدينة كلها بالحجارة بوادي القرى"[5]، وكذلك الاسترجاع الزماني بالنبي محمد إلى قصة فرعون، قال تعالى: ﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ [الفجر، ١٠]

(١) العف، عبد الخالق محمد، الزمان والمكان في رواية رابع المستحيل للقاص عبد الكريم السبعاوي، مرجع سابق، ص٣٧

(٢) شابي، سعاد، الزمن السردي في النص القصصي العربي، مرجع سابق، ص٢٧١- ٢٧٢

(٣) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٥٢٩/٣

(٤) المرجع السابق، ٣/ ٥٣٠

(٥) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣/ ٥٣٠

أي وكذلك فرعون الطاغية الجبار، ذو الجنود والجموع والجيوش التي تشد ملكه قال أبو السعود: وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم أو لتعذيبه بالأوتاد"[1]، فأولئك المتجبرون (عادٌ، وثمود، وفرعون) الذين تمردوا وعتوا عن أمر الله، وجاوزوا الحدَّ في الظلم والطغيان وأكثروا في البلاد الظلم والجور والقتل وسائر المعاصي والآثام، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر، ١٣]؛ أي "فأنزل عليهم ربك ألواناً شديدة من العذاب بسبب إجرامهم وطغيانهم قال المفسرون: استعمل لفظ الصبّ لاقتضائه السرعة في النزول على المضروب، كما قال القائل «صببنا عليهم ظالمين سياطنا» والمراد أنه تعالى أنزل على كل طائفة نوعاً من العذاب، فأُهلكت عادٌ بالريح، وثمود بالصيحة، وفرعون وجنوده بالغرق"[2]، ومن هنا ارتبط الزمان الاسترجاعي للأحداث التاريخية مع نوعية خطاب المواساة التي سبق وأشار إليها البحث مع الزمان النفسي ومع الاختيار الدقيق لنوعية الألفاظ ودلالاتها، وكل ذلك شكل من أشكال إعجاز القرآن الكريم ومدى ترابطه وتلاحمه.

ومن الأمثلة الأخرى التي اجتمع فيها الاسترجاع التاريخي مع الزمان النفسي قصة أصحاب الأخدود، قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ [البروج، آية: ٤-٦]، فالله تعالى يطمئن المؤمنين من أصحاب الرسول الكريم محمد ويواسي نفسيتهم بأن مصير كفار قريش ومَن عاونهم سيكون مثل مصير أصحاب الأخدود -كما أسلف البحث في موضع سابق- فالاسترجاع التاريخي رافقه أيضاً الزمان النفسي، وهو متعلق بنفسية المخاطَبين وليس بصاحب الخطاب -معاذ الله-، وهذا ينطبق على قصة أصحاب الفيل والآيات [١١- ١٥] من سورة الفجر التي تحدثت عن عاقبة قوم صالح عليه السلام حين عقروا الناقة.

ثانياً: الزمان الآني :

وهو الزمان المرتبط بلحظة آنية بعينها تجري الآن، وجاء الخطاب وفق أحداثها، فلم تنتهه، ولم تصبح زماناً ماضياً أو حدثاً تاريخياً قد اندثر وانتهى، ولاحظ الباحث أن هذا النوع من الزمان في عينة الدراسة المختارة من قصص جزء عمَّ قد ارتبط بنوع آخر من أنواع الزمان وهو الزمان النفسي أيضاً، وبصورة مميزة عن الزمان النفسي في الروايات أو القصص الأدبية، وهو حين ارتبط الزمان الآني بمعرفة الله تعالى لنفسية المخاطَب وما في داخلها، كما ومعرفة الله تعالى لنفسية المتلقي لهذا الخطاب.

ومثال ذلك من قصص جزء عمَّ، قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ [عبس، ١-٢] ؛ أي "كلح وجهه وقطَّبه وأعرض عنه كارهاً، لأنْ جاءه الاعمى يسأل عن أمور دينه قال الصاوي: إنما أتى بضمائر الغيبة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ تلطفاً به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجلالاً له، لما في المشافهة بتاء الخطاب ما لا يخفى من الشدة الصعوبة واسم الأعمى «عبد الله بن أُم مكتوم» وكان بعد نزول آيات العتاب إذا جاءه يقول له: (مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويبسط له رداءه)"[3]

(١) المرجع السابق، ٣/ ٥٣٠

(٢) المرجع نفسه، ٣/ ٥٣٠

(٣) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣/ ٤٩٤

وأدرج الباحث هذه القصة ضمن حقل الزمان الآني؛ لأن الحدث الذي جرى مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع ابن أم مكتوم لم ينته لحظة توجيه الخطاب الإلهي إليه، فهو شيء يحدث الآن ولم يصبح ماضياً، والزمان النفسي ظهر لحظة قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس، ٣] أي "وما يُعلمك ويخبرك يا محمد لعلَّ هذا الأعمى الذي عبستَ في وجهه، يتطهر من ذنوبه بما يتلقاه عنك من العلم والمعرفة، ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس، ٤]؛ أي أو يتعظ بما يسمع فتنفعه موعظتك، ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ [عبس، ٥]؛ أي أما من استغنى عن اللهِ وعن الإيمان، بما له من الثروة والمال، ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس، ٦]؛ أي فأنت تتعرَّض له وتصغي لكلامه، وتهتم بتبليغه دعوتك، ﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس، ٧]؛ أي ولا حرج عليك أن لا يتطهر من دنس الكفر والعصيان، ولست بمطالب بهدايته، إنما عليك البلاغ، ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ﴾ [عبس، ٨]؛ أي وأمَّا من جاءك يسرع ويمشي في طلب العلم للهِ ويحرص على طلب الخير، ﴿وَهُوَ يَخۡشَىٰ﴾ [عبس، ٩]؛ أي وهو يخاف الله تعالى ويتقي محارمه، ﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس، ١٠]؛ أي فأنت يا محمد تتشاغل عنه، وتتلهى بالانصراف عنه إلى رؤساء الكفر والضلال"[1]، فالله تعالى أعلم ما في نفس ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وأعلم ما في نفوس كفار قريش، وأعلم في صفاء نية النبي محمد صلى الله عليه وسلم حين طمع بهداية السادة أولاً، ومن هنا اجتمع الزمان الآني مع النفسي مرة أخرى.

ومن الأمثلة على الزمان الآني في جزء عمَّ قصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع أبي جهل، قال تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق، ٩- ١٤]، "ذُكر أن هذه الآية وما بعدها نزلت في أبي جهل بن هشام، وذلك أنه قال فيما بلغنا: لئن رأيت محمداً يصلي لأطأنَّ رقبته، وكان فيما ذُكر قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي، فقال الله لنبيه محمد: أرأيت يا محمد أبا جهل الذي ينهاك أن تصلي عند المقام، وهو معرض عن الحق، مكذب به. يُعجِّب جلَّ ثناؤه نبيه والمؤمنين من جهل أبي جهل، وجرأته على ربه في نهيه محمداً عن الصلاة لربه، وهو مع أياديه عنده مُكذِّب به وأدرج البحث هذه القصة ضمن الزمان الآني؛ لأن حدث نهي أبو جهل للرسول الكريم وأصحابه عن الصلاة كان حديثاً، ولم ينته ويصبح ماضياً، فالخطاب وجهه الله تعالى في حادثة ما زالت جارية على أرض الواقع، واجتمع مع الزمان الآني الزمان النفسي حين أراد جل جلاله أن يطمأن النبي وأصحابه أنه سيحميهم من بطش أبي جهل وكل أشباهه، كما أنه أعلم بنفسية أبي جهل حين بعث التعجب في نفوس الذين يسمعون هذا الخطاب من أفعال أبي جهل، وقد درس البحث هذا الخطاب ضمن خطاب المواساة في موضع سابق بشكل مفصل، وهذا الكلام ينطبق أيضاً على سورة المسد، وقصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي لهب وامرأته.

---

(١) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣/ ٤٩٤-٤٩٥

ثالثاً: الاستشراف أو الاستباق الزماني :

وهو يعني -من حيث مفهومه الفني- تقديم الأحداث اللاحقة والمتحققة -حتماً- في امتداد بنية السرد القصصي، على العكس من التوقّع الذي قد يتحقق وقد لا يتحقق، لاحقاً[1]، أو هو "عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقاً"[2] قبل وقوعه، وهذا النوع من الزمان كان حاضراً في قصص جزء عمَّ عينة الدراسة، وارتبط أيضاً بالزمان النفسي، سواء حين توعد الله تعالى الكفار، أو حين وعد الله المؤمنين من عباده بشيء ما، أو حين تم الحديث عن أهوال يوم القيامة، أو حين تحدث جل جلاله عن أحوال الجنة وأهلها.

ومثال ذلك قصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع أبي لهب، قال تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ ۚ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد، ٣- ٤]، فالخطاب فيه تهديد ووعيد لأبي لهب وامرأته، وهذا الوعيد غير متحقق لحظة نزول الآيات الكريمة، لكنه سيتحقق قريباً -كما أشار البحث في موضع سابق في تفسير هذه الآيات- لذلك الاستشراف الزماني دل عليه حرف السين في قوله (سيصلى)، والزمان النفسي متعلق بالنبي وأصحابه، كما أنه متعلق بأبي لهب وامرأته، رغبة في ردعهما ووقف أعمالهما العدوانية ضد المؤمنين ورسولهم الكريم.

ومثل هذا النوع من الاستشراف كان حاضراً في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق، ١٥- ١٨]، فالله تعالى يتوعد أبا جهل إن لم ينته عن القيام بممارساته وأفعاله ضد النبي الكريم وأصحابه، سيكون عقابه بأخذه من "ناصيته؛ مقدمة شعر الرأس فلنجرنه إلى النار بعنفٍ وشدة ونقذفه فيها"[3]، وهذا الاستشراف أو الاستباق الزماني تمازج معه الزمان النفسي بما فيه من تهديد ووعيد لأبي جهل، من شأنه أن يطمئن الرسول وأصحابه، ويرعب أبا جهل ويردعه، وزادت حدة الخطاب الإلهي حين تحدى أبا جهل بأن يدعو أهل ناديه ويستنصر بهم، في المقابل سيجد (الزبانية) وهم خزنة جهنم الملائكة الغلاظ الشداد بمواجهته.

وورد في عينة الدراسة من قصص جزء عمَّ، مثال على الزمان الاستشرافي الممتزج مع الزمان النفسي في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر، ١]، وهو خطاب موجه "للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكريماً لمقامه الرفيع وتشريفاً أي نحن أعطيناك يا محمد الخير الكثير الدائم في الدنيا والآخرة، ومن هذا الخير «نهر الكوثر» وهو كما ثبت في الصحيح «نهرٌ في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربتُه أطيبُ من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً»"[4]، فالزمان الاستشرافي تمثل في وعد الله تعالى لرسوله الكريم، والزمان النفسي كان في مدى ابتهاج النبي صلى الله عليه وسلم، ومدى فرحة أصحابه بهذه البشرى، وقد بين البحث ذلك في موضع سابق من الدراسة.

---

(١) انظر: يوسف، آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص١١٩

(٢) شاكر، جميل، والمرزوقي، سمير، مدخل إلى نظرية القصة، ط١، ١٩٩٦م، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ص٧٦

(٣) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣/ ٥٥٦

(٤) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ٣/ ٥٨٥

ومن بين التقنيات السرديّة الحاضرة بكثافة في قصص جزء عمَّ عينة الدراسة، تقنيات تسريع السرد مثل تقنية التلخيص وتعني "أن يقوم الراوي بتلخيص الأحداث الواقعة في عدة أيام أو شهور أو سنوات في مقاطع معدودات أو في صفحات قليلة دون أن يخوض في ذكر تفاصيل الأشياء والأقوال مما يمكن تمثيله بالمعادلة الآتية: التلخيص= زمن السرد > زمن الحكاية"[1].

وتقنية الحذف التي "تعمل على تسريع حركة السرد، بضمير الهو -مثلاً- بإسقاط فترة زمنية- طويلة أو قصيرة- من زمن الحكاية، دون أن يتطرق الراوي إلى ما جرى فيها، من الأحداث وما مر بها، من الشخصيات، بل اكتفى بتحديد العبارات الزمنية الدالة على مكان الفراغ الحكائي أو أنه عمد إلى عدم تحديدها، مما يمكن التمثيل به بالمعادلة الآتية: الحذف = زمن السرد < بكثير من زمن الحكاية"[2].

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ﴾ [النازعات، ١٥- ٢٢]، فهنالك أحداث كثيرة حذفت تقديرها، فذهب موسى إلى فرعون، ودعاه وتحلَّمه، فلما امتنع عن الإيمان أراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية، ونَزَعَ يده من كُمه أو جيبه فإذا هي بيضاء تسر الناظرين، فكذب فرعون نبي الله موسى، وعصى أمر الله تعالى بعد ظهور تلك المعجزة الباهرة، ثم أدبر يسعى، فجمع السحرة والجنود والأتباع، واستفتاهم في أمر موسى، فقال الملأ: إن هذا لساخر عليم.

فالقرآن يميل إلى لغة الإيجاز، وفي تلك اللغة يُترك لذهن المتلقي العنان لتقدير المحذوف وفك رمز النص، ومن ثم يظهر التفاعل بين النص والمتلقي إذ يُلقي النص بمعطيات للمتلقي ليقوم بتفكيكها ومنحها أبعاداً جديدة، بملء الفراغات التي بها.

ومن الأمثلة على الحذف في قصص سور جزء عمَّ قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ [الفيل، آية: ١-٥]، تُمثّل هذه السورة نموذجاً لجمالية الحذف؛ لأنها تحدثنا عن قصة وطبيعة القصة في لغة القرآن الكريم المعجز تقتضي عدم التفصيل الشديد، إذ إنها تركز على الخطوط العريضة للقصة، ثم تترك الأمور الثانوية للمتلقي أن يدركها خلال سياق القصة وتعاقب الأحداث. وهذا يبرز التفاعل المستمر بين النص والمتلقي، فالآيات السابقة ذكرت أصحاب الفيل ولم تفصّل مَن هم، ولم تفصح عن كيدهم الذي ضلله الله، وجعلهم بسببه كعصف مأكول، وهذا يعني أن هناك جملة ثانوية تم حذفها، ويمكن الاهتداء إليها عبر الجمل الأساسية ليكون نظم الكلام على النحو الذي ذكرنا؛ فالحذف لهذه الجملة الثانوية أحدث تماسكاً شكلياً وأدى إلى إنتاج تماسك دلالي، لأن المحذوفات تترك للمتلقي فرصة التقدير، وهذا التقدير يجعل المتلقي يتعامل مع دلالة النص، وعليه يتحقق فهمه وفك شفرته، وهذا هو الهدف من النص.

---

(١) يوسف، آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص١٢١

(٢) المرجع السابق، ص١٢٥-١٢٦

والفراغات في مثل هذا النموذج تُملأ من السور الأخرى التي ذكرت تفاصيل القصة مثل سور: الشعراء والأعراف وطه والنمل. ويسهم الحذف في تحقيق غاية التماسك بين أكثر من سورة، والمرجعية هنا من خارج الخطاب في نص السورة، والمحذوف من لفظ المذكور في مواضع أو سور أخرى.

وتقوم معظم قصص سور جزء عمَّ على تقنية الحذف، كما في السور القرآنية الأخرى؛ إذ تتجاوز هذه التقنية السردية الكثير من الأحداث، وتتخطاها، دون أن تؤثر في الرؤية القصصية، وقد يأتي الحذف ضمنيًا غير معلن عنه، يستشفه الدارس من فجوة في التسلسل الزمني للأحداث والمواقف والمشاهد عبر حركة السرد، كما في قوله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذِۭ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ [الفجر، ٢٣]، فهنا حذف للأحداث التي مارسها الإنسان في حياته الدنيوية، حذفت لفهم الدارس ضمنيًا أن هذه الأحداث هي المسبب الرئيس لما هو فيه الإنسان يوم القيامة.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذِۭ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الزلزلة، ٦]، إذ يفهم من تجليات السرد أن هنالك أعمالاً مارسها الناس سببت تشتتهم وتفرقهم يوم القيامة ليروها، لأنها تحديد لمصيرهم الخالد في النار أو الجنة، وهذا المشهد تكرر وصفه في القرآن الكريم بمواضع عدة، كما أن الفعل في هذا المشهد مبني للمجهول وقد حذف الفاعل للعلم به.

وهذا الحذف للأخبار والأعمال يدل على التلقائية والاقناع النفسي بأن الكون كله مهيأ يومئذٍ للحدث الخطير، وأن الكائنات مسخرة بقوة لذلك الحدث، فهي تحتاج إلى أمر ولا تحتاج إلى فاعل.

فالمدة الزمانية هنا محددة بألف شهر، بدون تفصيل أو توضيح بقصد الايجاز واختصار مدة زمانية طويلة جدًا يمكن للدارس فهم قيمتها وأهميتها، ولعل الايجاز هنا يعرض الأحداث بطريقة تبين أهميتها في سياقات الترغيب والترهيب معًا، ولتدل على أهمية هذا اليوم، ونتائج فضله على الناس، وبيان قدرة الله تعالى المطلقة بنتائج العبادة في هذا اليوم، إذ يشكل هذا الزمان المحدد صياغة مفردة للدلالة المضاعفة، ويتجاوز في مفهومه دلالات كبرى راسخة في المشهد السردي.

وهذه التقنيات السرديّة تنفي مسألة تكرار القصص القرآني في القرآن الكريم، فالذي يعني القرآن أثناء القص لقصصه هو "المشاهد واللقطات التي تحوي الدروس والدلالات، وتقدم العبر والعظات، فتجده يوردها ويسجلها ويثبتها، لتقدم دروسها... والقرآن الكريم لم يعرض إلا أقل القليل من أحداث قصصه ومشاهدها، وهي التي تحقق ما يُريد من عرضها، وما سكت عنه القرآن منها أضعاف أضعاف ما ذكره"يقول سيد قطب في تكرار القصة في القرآن الكريم: "ويحسب أناس أن هنالك تكراراً في القصص القرآني؛ لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى؛ ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحد من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق،

فللقرآن الكريم طريقة مطردة في عرض قصص السابقين، "فلم يكن هدفه الاستعراض الشامل الدقيق لأحداث القصة، ولا متابعة كل وقائعها بالتفصيل الدقيق، ولا السرد التاريخي المتدرج المنظم، إن هذه هي مهمة المؤرخ، المعني بالمتابعة المفصَّلة لكل مشهد أو لقطة أو حدث، والذي يهمه تسجيل كل جزئية أو خبر أو معلومة، ومَن يُريد هذه الأشياء لن يجدها في القرآن الكريم، وعليه بمراجعة كتب التاريخ ليأخذ منها"

المبحث الخامس: جماليات التشكيل اللغوي

هناك فرقٌ بين لسان القرآن الكريم وبين لسان العرب، وإن اتصل به من جهة الألفاظ فهو ينفصل عنه من جهة الأغراض، وعلاقة لغة العرب بلغة القرآن هي علاقة النسبي بالمطلق، فلغة القرآن الكريم هي لغة مطلقة استوعبت العرب وغيرهم، وسبق للبحث تفصيل هذه القضية.

وألفاظ القرآن الكريم هي المفتاح لفقهه وفهمه؛ فهي "مفتاح الوصول إلى ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآناً وسنة، وهي المدخل المصطلحي المقطوع بأنه من الوحي، واختيارها من الله جل وعلا، واستعمال السنة لها تابع لاستعمال القرآن، فدراستها في القرآن والسنة تفضي إلى العلم بمفاهيمها المفردة، وأنساقها المركبة.

ولا بُدَّ من تتبع الألفاظ القرآنية بهدف تحقيقها وبيان مدلولاتها ومفاهيمها من داخل القرآن نفسه حتى لا تحمل من خارج القرآن؛ لأنّ الألفاظ القرآنية مترابطة في ما بينها، ولا يمكن فهمها إلا برد بعضها إلى بعض، ويطلق على هذا الترابط اسم (النظم أو النسق أو الوحدة البنائية أو الترتيل)، فيذكر أحمد عبادي: "أنّ من لم يدرك بنائية القرآن ووحدة ألفاظه العضوية، يمكن أن يقع في تعضية وتمزيع خطيرين بإدخاله فيه من خارجه مدلولات ألفاظ لا تمت (أي المدلولات) إليه بصلة، مما من شأنه أن يحول دون الاستهداء به نحو التي هي أقوم. إن الترتيل وحده هو الذي يمكن من ربط المفردات ببعضها، ومن اختبار ما فهمناه منها بفتنته على نور الآيات، عن طريق السير في القرآن وفي الآفاق"[1].

ومن ثم، إن اللغة تسهم بدور بارز في تحقيق كينونة الخطاب القصصي القرآني؛ لما يتسم به من "خصائص جمالية وأسلوبية، وبنيوية ووظيفة متنوعة ويظهر ذلك من "خاصية المعاجم المشكلة للخطاب وما يدور في متنه من حقول دلالية، ويتّبع ذلك من انسجام واتساق في البنية التركيبية للخطاب، وما يتعلق به من أبعاد دلالية ورؤى، وعبر هذه المكونات يحقق الخطاب الأدبي وظائفه "[2].

وكانت بداية الحديث عن الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم في بدايات القرن الثالث الهجري، حيث خضع القرآن للدراسة المنهجية العلمية، وإبراز الجوانب اللغوية فيه مدفوعة بعوامل عدة، كان التأليف فيه ضرورة، لإبراز جوانب القوة اللغوية في القرآن الكريم، ومن هذه العوامل، ضعف الفطرة اللغوية عند العرب، واختلافها عن الوقت الذي نول فيه القرآن، أضف إلى ذلك اختلاط العرب بالعجم، بعبارة أخرى، نستطيع القول: أن العرب بدأوا بفقدان الملكة اللغوية الفطرية.

نزل القرآن الكريم على نظام مرتل متناسق ، يشد بعضه بعضا، ولما كان الأصل في نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب أو ما يجري مجرى الحشو والاعتراض، أو ما يقال فيه إنه تغوث واستراحة كما تجد من كل ذلك في أساليب البلغاء، ثم أدير لسان العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها، لم يتهيأ ذلك ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة فكل حرف وكل كلمة في القرآن وضع لتأدية غرض ما في ترابط وتشابك عجيبين، وليس فيه حرف ولا كلمة زائدين كما ذهب إلى ذلك أغلب شرّاح النص القرآني.

---

(1) عبادي، أحمد، مفهوم الترتيل في القرآن الكريم النظرية والمنهج، مرجع سابق، ص ٦٨

(2) المرجع السابق، ص ٢٩١

ولاحظ الباحث أنه من مظاهر جماليات التشكيل اللغوي التقديم والتأخير، وكثرة الحذف في قصص سور جزء عمَّ:

أولاً: التقديم والتأخير :

مثل تقديم المفعول به على الفاعل، ومن الشواهد اللغوية على هذه الظاهرة ما ورد في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ [عبس، ١-٢]، والتقديم هنا للضمير في الفعل (جاءه)، إنما جاء لأهمية ما قام به الأعمى عند الله تعالى، ولتشويق المتلقي في تتبع معرفة الإنسان المقصود الذي عاتب الله سبحانه وتعالى نبيه من أجله، وهنا التفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة في العتاب.

ثانيًا: الحذف في أسلوب الاستفهام :

وقد ورد في موضع واحد في جزء عمَّ، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات، ١٨]، فالمحذوف في هذه الآية هو المبتدأ، يقول أبو حيان: "تقول العرب: هل لك في كذا، أو هل لك إلى كذا، فيحذفون ما يتعلق به من الجار والمجرور، أي هل رغبة أو حاجة أو سبيل؟"[(١)]، وفي هذه الحالة قرينة لغوية يدل عليها الجواب، فالحذف هنا جاء في السؤال: (هل لك إلى أن تزكى) والجواب يكون (أرغب)؛ لأن السؤال يبلغ من الترغيب بحيث لا يمكن لعاقل أن يرفض القبول كما يقول أبو حيان[(٢)]، وعليه فالجار (لك) متعلق بخبر محذوف لمبتدأ محذوف[(٣)]، أما الغرض فالاحتراز عن العبث بذكر ما لا حاجة له.

وجمالية التشكيل الفني في الحذف أنه يتماشى مع السياق ومع غرض الدعوة التي أُمر بها موسى وكلّ داعية من بعده، وهو اللين في الدعوة وعدم المجابهة وإنما الترغيب والتحضيض وهذا مرتبط في موضع آخر مع أمره سبحانه لموسى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه، ٤٤].

ثالثًا: حذف المبتدأ وجوبًا :

ومن أشكال حذف المبتدأ وجوبًا في قصص سور جزء عمَّ، قطع -التابع عن المتبوع- لغرض إنشائي، بغية الحصول على جملة من القطع، يقول الأزهري: "وجملة النعت المقطوع مستأنفة. قال الشاطبي: لأن الصفة مع المقدر تصير جملة مستقلة لا موضع لها من الإعراب"[(٤)]، ويعلل عباس حسن ذلك في قوله: "لأن هذه الجملة الجديدة إنشائية للمدح أو الذم أو غيرهما... والجملة الإنشائية لا تكون نعتًا... ولا تكون حالاً"[(٥)].

---

(١) الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط١، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٨/ ٤١٣

(٢) المرجع السابق، ٨/ ٤١٣

(٣) الخراط، أحمد بن محمد، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، د. ط، ١٤٢٦ هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ٤/ ١٤١٤

(٤) الأزهري، خالد عبدالله، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، ط١، ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢/ ١٢٦

(٥) حسن، عباس، النحو الوافي، ط١، ١٩٧٥م، دار المعارف، القاهرة، مصر، ٣/ ٣٩٢

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ﴾ [الفجر، ٩]، قدّر مبتدأ محذوف للخبر (الذين)، كما يجوز إعرابها نصباً على تقدير الفعل (أعني)، ويجوز إعرابها على البدل من (ثمود)[١]، وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [الفجر، ١١]، يتكرر الإعراب السابق، ويفضّل الزمخشري، والرازي القطع إنما نصباً على الذم[٢].

ومن الأمثلة على حذف المبتدأ وجوبًا في قطع التابع عن المتبوع قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ﴾ [قريش، ٤]، قدّر النحاة مبتدأ محذوفًا على القطع، كما أجازوا النصب على أنه نعت لـ(رب)[٣].

وأيضاً حذف المبتدأ وجوبًا في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد، ٤]، يفضّل النحاة النصب على الذم بتقدير الفعل (أذم أو أشتم)، إلا أنهم أجازوا الرفع على إضمار مبتدأ، والتقدير (هي حمالةُ)، ففي كلا الحالتين يكون الحذف وجوبًا، ويفهم من السياق المقامي، وهنالك مَن أعربها حالاً من (امرأته)[٤].

رابعًا: حذف الفعل :

وعلى سبيل الذكر في قصص سور جزء عمَّ حذف الفعل مع مضمره المرفوع (المسند والمسند إليه)، بغية تحقيق أسلوبي التحذير والإغراء، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾ [الشمس، ١٣]، يقول النحاس: "أي احذروا ناقة الله"[٥]، و "ناقة الله نصب على التحذير، كقولك الأسد الأسد، والصبي الصبي. بإضمار: ذروا واحذروا عقرها (وسقياها) فلا تزووها عنها، ولا تستأثروا بها"[٦]، وإضمار الناصب هنا واجب لمكان العطف، فإن إضمار الناصب يجب في ثلاثة مواضع، أحدها: أن يكون المحذر نحو: إياك وبابه. الثاني: أن يوجد فيه عطف، الثالث: أن يوجد فيه تكرار نحو: الأسد الأسد. وقرأ زيد بن علي (ناقة الله رفعاً على إضمار مبتدأ. أي هذه ناقة الله)[٧].

ومن أشكال حذف الفعل مع مضمره المرفوع (المسند والمسند إليه) في قصص سور جزء عمَّ، حذف عامل لمصدر المؤكد لفعل، وتحقق ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ [النازعات، ٢٥]

---

(١) انظر: النحاس، أبو جعفر أحمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، ط٢، ١٩٨٥م، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ٥/ ٢٢١

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مرجع سابق، ٦/ ٣٧٠، وانظر: الرازي، فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين البكري الطبرستاني، التفسير الكبير، د. ط، د. ت، المطبعة البهية المصرية- مؤسسة المطبوعات الإسلامية، مصر، ٣١/ ١٦٩

(٣) انظر: النحاس، إعراب القرآن، مرجع سابق، ٥/ ٢٦١

(٤) انظر: النحاس، إعراب القرآن، مرجع سابق، ٥/ ٢٩، وانظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مرجع سابق، ٦/ ٤٥٨

(٥) النحاس، إعراب القرآن، مرجع سابق، ٥/ ٢٣٧

(٦) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مرجع سابق، ٦/ ٣٨٤

(٧) انظر: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، ط١، د. ت، دار القلم، دمشق، سوريا، ١١/ ٢٤

يذكر الزمخشري أن "(نكالَ) هو مصدر مؤكد، كوعد الله، وصبغة الله؛ كأنه قيل: نكل الله به نكال الآخرة والأولى، والنكال بمعنى التنكيل (ما ينتصب به المصدر) كالسلام بمعنى التسليم، يعني الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة"[1].

وقد يأتي الحذف على إرادة القول، وفي هذا اللون من الحذف يكون المحذوف جملة القول، المكونة من الفعل ومرفوعه، ويبقى مقولة القول، نحو قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ [قريش، ١]، يذكر النحاس: "قيل في الكلام حذف، والمعنى اعجبوا لإيلاف قريش (رحلة الشتاء والصيف) وتركهم عبادة رب هذا البيت، وهذا أعنى الحذف مذهب الفراء، ويحتج له بأن العرب تقول لله أبوك فيكون في اللام معنى التعجب، وأصبح من هذين القولين وهو قول الخليل بن أحمد، أن المعنى لأن يؤلف الله قريش إيلافاً"[2]، و "قيل: المعنى: عجبوا لإيلاف قريش"[3]، وعليه فالقرينة حالية يشير إليها قصد المتكلم، الذي أضمر إرادة القول.

خامساً: حذف المفعول به:

وعلى سبيل الذكر في قصص سور جزء عمَّ حذف المفعول به، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ [النبأ، ٤-٥]، حذف مفعولي يعلمون لغاية بلاغية رائعة ليجعل كلّ شيء يمكن أن يعلمه الإنسان أو يتعلمه قريب الزمان أو بعيده داخلاً في هذا السياق، ومحتملاً لأن يكون من مفعولي (سيعلمون) المحذوفين، انظر الشكل الآتي:

سيعلمون...
أن القيامة حقّ
أن البعث حقّ
أن الحشر كائن
أن نبوءة محمد حقّ
أن الجنة حقّ
أن النار حقّ
أن الخلود في الدار الآخرة حقّ

سادسًا: الفعل المبني للمجهول :

ورد في أكثر من موضع في سور جزء عمَّ، وذلك لشهرته ومعرفته، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ [الزلزلة، ١] وهذا مشهد من مشاهد يوم القيامة، فقد ورد لفظ (الزلزلة) بصيغة الماضي المبني للمجهول، ولعل السرَّ في هذا التوظيف هو العلم بالفاعل.

(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مرجع سابق، ٦/ ٣٠٨

(٢) النحاس، إعراب القرآن، مرجع سابق، ٥/ ٢٩٣

(٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مرجع سابق، ٦/ ٤٣٥

وكذلك ورد الفعل المبني للمجهول في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق، ١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾ [الانشقاق، ٣] فالأفعال (انشق) و (مُدَّ) هي أفعال مبنية للمجهول -من الناحية النحوية- أما الدلالة القرآنية تشير إلى فعل فاعل معلوم، فالسماء لن تنشق لوحدها، والأرض لم تمد لوحدها، بل بفعل فاعل متمكن، صاحب قدرة مطلقة، وهو الله تعالى، ويفهم من السياق.

ومن الأفعال التي وردت على سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [الانشقاق، ٤-٥]، فالأفعال (ألقت) و (أذنت) و (تخلت) هي "أفعال مستندة إلى السماء أو الأرض على سبيل المجاز"[1] فهي مساوية للمجهول في المعنى.

(١) أبو شريفة، عبد القادر، و فزق، حسين لافي، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ط١، ١٩٩٠، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، ص٣١

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى الكشف إجرائياً عن النص القصصي في القرآن الكريم بصوره المختلفة، واتخذت قصص سور جزء عمَّ مادة تعتمد عليها في تحقيق هذا الهدف، وبعد دراسة موضوعات السور ودلالاتها، وتجليات الخطاب السردي واستراتيجياته ووظائفه، والأبعاد الفنية المشكلة للنص القصصي في سور جزء عمَّ من مكان وزمان وشخصيات وأحداث، خرجت الدراسة بمجموعة خلاصات واستنتاجات أبرزها:

١- إن النَّص القصصي القرآني وعناصره الفنية تخطى القصة التقليدية، وذلك عبر فرادة توظيفه للخطاب السردي واستراتيجياته وأدواته، مما أضفى جماليات في التشكيل الفني من النادر جدًا العثور عليها في أي عمل قصصي إنساني.

٢- جميع القصص عينة الدراسة لم يحضر فيها الحوار بشكل مباشر، ولا حتى بالتلميح إلا في مثالين هما قصة موسى وفرعون، وقصة تساؤل قريش عن قيام الساعة في بداية سورة (النبأ)؛ والسبب في ذلك أن الخطاب جاء من جانب الله تعالى فقط تجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تحديدًا، ولم يكن هنالك ردٌّ من الذين خاطبهم مثل حواره جل جلاله مع موسى عليه السلام، أو مثل الحوار بين يوسف عليه السلام وإخوته، أو مثل حوار زكريا أو مريم أو إبراهيم عليهم السلام، وغيرها من الأمثلة في قصص القرآن الكريم.

٣- لاحظ الباحث وجوب التركيز على السياق (contexte) في دراسة القصة القرآنية كي يُفهم مقصدها وأغراضها وتوجيهاتها.

٤- إن المكان في القصة القرآنية هو مكان تخيّلي أعدّه الله سبحانه وتعالى في القصة ليضع المتلقي في نفس الظروف التي تعرضت لها شخصيات القصة، وله -أي المكان- خصائصه التخيلية التي أهّلته لأداء محوريته في تشكيل بنية النص والقص والخطاب القرآني بعمومه.

٥- حضر الزمان في القصص القرآنية الواردة في جزء عمَّ بأشكال متنوعة، وبتقنيات سردية مختلفة، تناسب نوعية الخطاب والغاية والمقصدية والمقام.

٦- من بين تقنيات السرد الحاضرة بكثافة في قصص جزء عمَّ عينة الدراسة، تقنيات تسريع السرد مثل تقنيتي التلخيص والحذف، وهاتان التقنيات السردية تنفي مسألة تكرار القصص القرآني في القرآن الكريم.

٧- إن الشخصية في القصص القرآني لها خصوصيتها في حقيقة وجودها، وصدق رسمها، ودقة تصويرها، وحقيقة كل ما صدر عنها، أو حقيقة ما حدث لها.

٨- كان التركيز على رسم البعد النفسي للشخصية أهمية قصوى في سياق القصة، كما أن البعد النفسي كان واضحًا في كيفية بناء القصة فنيًا.

٩- قد يأتي الحدث تعبيراً عن مشاعر وانفعالات تعتري شخصيات القصة القرآنية، وقد تكون من ترتيبات القدرة الإلهية.

١٠- أبرز جماليات التشكيل اللغوي في قصص سور جزء عمَّ التي لاحظها الباحث كانت في الحذف.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب:

- القرآن الكريم.

- أحمد، مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ط١، ٢٠١٥م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- الأزهري، خالد عبدالله، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، ط١، ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، ١٩٩٢م، دار المعرفة، بيروت.

- اعلاوي، نزيه محمد، الشخصيات القرآنية، ط١، ٢٠١٠م، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

- الرازي، فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين البكري الطبرستاني، التفسير الكبير، د. ط، د. ت، المطبعة البهية المصرية- مؤسسة المطبوعات الإسلامية، مصر.

- النحاس، أبو جعفر أحمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، ط٢، ١٩٨٥م، عالم الكتب، القاهرة، مصر.

- الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط١، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

- باشلار، غاستون، جماليات المكان، ترجمة: هلسا، غالب، ط٣، ١٩٨٧م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.

- الباقلاني، محمد بن طيب بن محمد، إعجاز القرآن الكريم، تحقيق: السيد أحمد صقر، د.ط، ١٩٩٧م، دار المعارف، مصر.

- البعلبكي، رمزي، معجم المصطلحات العربية، د.ط، ١٩٩٠م، دار العلم للملايين، بيروت.

- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط١، ١٩٨٤م، دار الكتب الإسلامي، القاهرة.

- بلبول، عبد الباسط ، القصص القرآني، ط١، ٢٠٠٦م، مكتبة أصول الدين، القاهرة.

- بنكراد، سعيد، السيميائيات السردية، ط١، ٢٠٠١م، منشورات الزمان، الرباط.

- البوشيخي، الشاهد، دراسات مصطلحية، ط١، ٢٠١٢م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

- بوحوش، رابح، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ط١، ٢٠٠٦م، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة.

- بومزبر، الطاهر، التواصل اللساني والشعرية: مقاربة تحليلية لمقاربة رومان جاكبسون، ط١، ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر - عبد العزيز بن إبراهيم العسكر - حمدان بن محمد الحمدان، ط٢، ١٩٩٩م، دار العاصمة، السعودية.

- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣، ١٩٩٢م، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة.

- أبو جندي، خالد أحمد، الجانب الفني في القصة القرآنية: منهجها و أسس بنائها، ط١، د. ت، دار الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر.

- حجازي، محمد محمود، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ط١، ١٩٧٠م، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

- الحربي، فرحان بدري، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ط١، ٢٠٠٠م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان.

- حسن، عباس، النحو الوافي، ط١، ١٩٧٥م، دار المعارف، القاهرة، مصر.

- حسين، فهد، المكان في الرواية البحرينية (دراسة نقدية)، ٢٠٠٣م، فراديس للنشر والتوزيع، بيروت.

- حنفي، حسن، وآخرون، تحليل الخطاب العربي، ط١,١٩٩٨م، جامعة فيلادلفيا، عمّان.

- الخالدي، صلاح، القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، ط١، ١٩٩٨م، دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت.

- الخراط، أحمد بن محمد، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، د. ط، ١٤٢٦ هـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية.

- الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ط٢، ١٩٧٥م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

- دراز، عبد الله، النبأ العظيم، ط٦، ١٩٨٤م، دار القلم، الكويت.

- الرازي، زين الدين أبو عبد الله، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (١٤٢٠هـ)، المكتبة العصرية – دار النموذجية، بيروت- صيدا.

- الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط١، ١٩٩٠م، . دار الكتاب العربي، بيروت.

- رحماني، أحمد، نظريات نقدية وتطبيقاتها، ط١، ٢٠٠٤م، مكتبة وهبة، القاهرة.

- الرواجفة، ليث سعيد، مدارات سردية: قراءات تطبيقية على الرواية والقصة القصيرة جداً، ط١، ٢٠١٨م، دار الدراويش للنشر والتوزيع والترجمة، جمهورية بلغاريا - بلوفديف.

- الزَّبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، د.ط، ١٩٨٠م، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ج١٨، الكويت.

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، ١٤٠٧ هـ دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

- الزين، سميح عاطف، معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ط٤، ٢٠٠١م، الدار الإفريقية.

- أبو سعد، أحمد، فن القصة، ط١، ١٩٥٩م، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، ط٢، ٢٠٠٢م، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض.

- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، ط١، د. ت، دار القلم، دمشق، سوريا.

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، (١٤٢١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، ج٦، بيروت.

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، ط١، ١٩٩٦م، دار إحياء التراث- بيروت.

- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ط١، ١٩٧٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

- الشاربي، سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، ط١٧، ١٤١٢هـ دار الشروق، بيروت، لبنان.

- شاكر، جميل، والمرزوقي، سمير، مدخل إلى نظرية القصة، ط١، ١٩٩٦م، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد.

- شاكر، محمود محمد، مداخل إعجاز القرآن، ط١، ٢٠٠٢م، مطبعة المدني- دار المدني، جدة.

- شاهين، توفيق محمد، علم اللغة العام، ط١، ١٩٨٠م، مكتبة وهبة، القاهرة.

- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ط١، ٢٠٠٤م، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

- صبحي، أميمة، حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، ط١، ٢٠١٥م، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن.

- الطبري، محمد بن جرير، (تفسير الطبري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، ط١، ٢٠٠١م، القاهرة- مصر.

- طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، ط١، ٢٠١١م، عالم الكتب الحديث، الأردن.

- طول، محمد، البنية السردية في القصص القرآني، ط١، د. ت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- عبد ربه، السيد عبد الحافظ، بحوث في قصص القرآن، ط١، ١٩٧٢م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

- العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم: جزء عم، ط٣، ٢٠٠٣م، دار الثريا للنشر، الرياض- السعودية.

- عشراتي، سليمان، الخطاب القرآني، ط٣، ١٩٩٨م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٤٢٢ هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

- عليان، مصطفى، بناء الشخصية في القصة القرآنية، ط١، ١٩٩٢م، دار البشير، مصر.

- العموش، خلود، الخطاب القرآني، ط١، ٢٠٠٨م، عالم الكتب الحديث، الأردن.

- عيد، محمد عبد الباسط، النص والخطاب – قراءة في علوم القرآن، ط١، ٢٠٠٩، مكتبة الآداب، القاهرة.

- عيد، محمد عبد الباسط، في حجاج النص الشعري، ط١، ٢٠١٣م، أفريقيا الشرق، المغرب.

- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، (١٤٠٦ هـ)، ط٢ ، مؤسسة الرسالة، ج١، بيروت.

- الفجاوي، مختار، خطاب العقل عند العرب، ط١، ١٩٩٣م، المطبعة العصرية، تونس.

- أبو الفضل، منى عبد المنعم، نحو منهاجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات والمقومات، ط١، ١٩٩٦م، مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة.

- فوكو، ميشيل، نظام الخطاب، جينيالوجيا المعرفية، ترجمة: أحمد الطائي، ط١، ١٩٨٨م، المغرب.

- الفيصل، سمر روحي، بناء الرواية العربية السورية، ط١، ١٩٩٥م، اتحاد كتاب العرب، دمشق.

- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د.ت، د.ط، المكتبة العلمية، ج٢، بيروت.

- قاسم، سيزا أحمد، بناء الرواية، ط١، ١٩٨٥م، دار التنوير، بيروت.

- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، (تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، ١٩٦٤م، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر.

- القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ط٧، د.ت، مكتبة وهبة، القاهرة.

- كاصد، سليمان، عالم النص: دراسة بنيوية في الأساليب السردية، د.ط، ٢٠٠٣م، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٩٩٧م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، مصر.

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢، ١٩٩٩م، دار طيبة، الرياض- السعودية.

- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، ط١، ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ط١، ٢٠١٠م، منشورات الاختلاف، المغرب.

- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، ط٣، د. ت، دار عمران للنشر والتوزيع، القاهرة.

- مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، ط١، ١٩٩٨م، سلسلة عالم المعرفة- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.

- مرتاض، عبد المالك، نظرية النص الأدبي، ط٢، ٢٠١٠م، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر.

- مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، مجلة عالم المعرفة، عدد ٢٤٠، ١٩٩٨م، الكويت.

- المسيري، عبد الوهاب، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، ط٢، ٢٠٠٥م، دار الشروق، القاهرة.

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط٣، (١٤١٤هـ)، دار صادر بيروت، ج٧.

- نقرة، التهامي، سيكولوجية القصة في القرآن، ط١، ١٩٧٤م، الشركة التونسية للتوزيع، تونس.

- نوفل، أحمد، تفسير سورة يوسف: دراسة تحليلية، ط١، ١٩٨٩م، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن.

- وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، معجم المصطلحات اللغوية في اللغة والأدب، ط١، ١٩٨٤م، مكتبة لبنان، بيروت.

- يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، ط٤، ٢٠٠٥، المركز الثقافي العربي، المغرب.

- يوسف، آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط٢، ٢٠١٥م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

- يوسفات، لطيفة، المكان في الرواية العربية المعاصرة، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية -جامعة زيان عاشور بالجلفة، الجزائر، ع٢٠، ٢٠١٤م.

ثانيًا: المقالات:

- استيتية، سمير شريف، الخطاب في الدراسات اللسانية الحديثة، الموسم الثقافي الواحد والثلاثون لمجمع اللغة العربية الأردني، ٢٠١٣م، الأردن.

- باظاهر، عيسى، قضية إعجاز القرآن عند مالك بن نبي، مجلة عالم الفكر، ع٢، م٣١، ٢٠٠٢، الكويت.

- البع، محمد رمضان محمود، دلالات الأصوات في فواصل آيات جزء عمَّ: دراسة تحليلية، مجلة جامعة الأقصى- سلسلة العلوم الإنساني- جامعة الأقصى بغزة، مج ١٣، ع، ٢، ٢٠٠٩م، فلسطين.

- حمادي، صبري مسلم، الفن السردي وعنصر الحدث: رؤية تنظيرية، مجلة الجوبة- مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، ع ٥١، ٢٠١٦م، السعودية.

- حمدان، عبد الرحيم حمدان، بناء الشخصية الرئيسية في رواية (عمر يظهر في القدس) للروائي نجيب الكيلاني، أعمال المؤتمر العلمي الخامس بعنوان: القدس تاريخاً وثقافة- كلية الآداب- الجامعة الإسلامية بغزة ٢٠١١م، فلسطين.

- حناوي، نور الهدى، تقنيات الحجاج عند الجاحظ: كتاب العثمانية أنموذجاً، مجلة التراث العربي، مج ٣٢، ع ١٢-١٣٣، ٢٠١٤م، سوريا.

- الحوري، غصاب نهار مطر، من ملامح الإعجاز في القص القرآني، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، س٢٠، ع٣٦، ٢٠١٧م، السودان.

- الخطيب، عماد علي سليم أحمد، دلالة أسماء الشخصيات في الرواية الأردنية: دراسة سيميائية في نماذج مختارة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع٢٥، ٢٠١١م، فلسطين.

- الخيري، أروى محمد ربيع، وربيع، محمود، السرد في القص القرآني: قصة أهل الكهف أنموذجًا، مجلة مقاليد- جامعة قاصدي مرباح- ورقلة، ع٩، ٢٠١٥م، الجزائر.

- الدهشان، عبد الكريم حمدي، وجوه الإعجاز بين العلماء القدماء والمعاصرين: عرض وتحليل، أعمال المؤتمر العلمي الثاني: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، ٢٠١٦م، الجامعة الإسلامية، غزة.

- الزهراني، أسماء، بطولة الزمن السردي : و أزمة الذات الأنثوية في القصة :القاصتان هدى المعجل و خديجة الصاعدي أنموذجًا، مجلة الجوبة -مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية-، ع٥١، ٢٠١٦م، السعودية.

- السامرائي، فليح مضحى، تقانات التعبير السردي الوصفي -تقانة وصف الحدث أنموذجاً: دراسة في ألف أقصوصة وأقصوصة لصبحي فحماوي، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية- مركز جيل البحث العلمي، ع ١٦، ٢٠١٦م، الجزائر.

- سيجر ليندا، القواعد العلمية والفنية لكتابة النصوص الدرامية السينمائية والتلفزيونية والمسرحية، ترجمة أديب خضور، العدد ٣٤، ٢٠٠٨م، سلسلة المكتبة الإعلامية.

- شابي، سعاد، الزمن السردي في النص القصصي العربي، مجلة الحقوق والعلوم الانسانية –جامعة زيان عاشور بالجلفة- ع٨، ٢٠١١م، الجزائر.

- العف، عبد الخالق محمد، الزمان والمكان في رواية رابع المستحيل للقاص عبد الكريم السبعاوي، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية مج١٦، ع٢، غزة- فلسطين.

- علوان، نعمان شعبان، مقدمة في الإعجاز القرآني، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية –شؤون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية-، مج ١٨، ع ١، غزة.

- كشلاف، مولود بشير محمد، شخصية البطل في رواية نافذة على المطل الخلفي للكاتب محمد علي سالم عجينة، مجلة كلية التربية (جامعة الأزهر)، ع١٥٥، ج٢، ٢٠١٣م، مصر.

- مدقن، كلثوم، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال "للطيب صالح"، الأثر- مجلة الآداب واللغات- جامعة ورقلة، ع٤، ٢٠٠٥م، الجزائر.

ثالثًا: الرسائل الجامعية :

- باحويرث، تهاني، أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة ، مصر ٢٠٠٧.

- بشير، محمودي، البنية السردية في الرواية الجزائرية المعاصرة: البحث عن الوجه الآخر أنموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة وهران، ١٩٩٧م، الجزائر.

- أبو حسن، الصادق، العناصر القصصية في قصة سيدنا موسى في القرآن الكريم، رسالة ماجستير- كلية الدراسات العليا، جامعة النيلين، ٢٠١٠م، الخرطوم.

- الدقور، سليمان، اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٥.

- سالم، محمود، قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم اللغة النصي، رسالة ماجستير، جامعة بني سويف ، مصر ٢٠٠٨.

- سماحة، فريال كامل محمد صالح، رسم الشخصية في روايات حنا مينه، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، كلية الآداب والعلوم- قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت، ١٩٩٨م، المفرق- الأردن.

- عبادي، أحمد، مفهوم الترتيل في القرآن الكريم النظرية والمنهج، رسالة دكتوراه، ٢٠٠٢م، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، ص ٨٢.

- العتوم، مهى محمود إبراهيم، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤، ص٢٠.

أبو لحية ، مجدي، النظم القرآني في سورة هود، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٩.

The Qur'anic Narrative verses: A perspective on the Narrative Discourse

"Juz' Amma as a Model"

A Master Thesis By:

Hossam Mohamed Al-Batoush

Supervisor:

Dr. Muntaha Taha Alharhasha

Department of Arabic language and its literature, Al al-Bayt University, 2018

Abstract

The study seeks to develop narrative text in a part of the work, to monitor the rhetorical strategies used in each story, its impact on the title, the use of dictionaries and interpretations, and modern monetary theories related to narrative construction of place, time, events, personalities, and ethics of the stories in .general inside and outside the text

The study sought to devise the strategies on which each narrative discourse was based, in addition to its coherence, consistency and harmony with the general .context of the Qur'anic text, such as persuasion, pilgrims, guidance and guidance

The Qur'anic miracle is not limited to statement and legislation. Extends to highlight the psychological and sensory situation in the story and the story. To teach, guide and influence people by cutting stories that apply to their situation in context, people and events.